استروکس

نادر بکر

استروكس
نادر بكر
تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2018/4221
ترقيم دولي:978-977-6594-37-1

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨
الطبعه الثالثه مارس ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

استروكس

نادر بكر

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

إهداء

إلى "أمي" طبعًا، أول حد، وأهم حد وكل حد عندي،

اللي أتمنى أقدر أخليها تفتخر بيا.

إلى "أختي"، اللي طول عمرها سند وضهر ليا من صغرنا لما كان حد بيضربني كانت هي اللي تجيب لي حقي.

إلى "أخويا"، اللي دايما عشمان فيا وبيتمنى لي الخير، بس دايما بيقول لي: "يسطا".

كالعادة إلى محمد فايز ومحمد علاء وأيام هروبنا من درس الفيزياء الساعة ٦ الصبح سوا، وأيام بلح الشام وأيام سطوح بيتنا، أيام السنوءة وأيام كانتين الجامعة، أيام السهرة عند هشام يوم الخميس وليلة الوقفة، أيام المصيف وخروجة اللسان، أيام مدرسة الثانوي والوقفة في البلكونة، أيام لعب الكورة وأيام رن الجرس والجري، أيام نومة السطوح عند فايز وزيارات الحربية لمحمد علاء، أيام افيهاتنا اللي محدش يفهمها غيرنا.

إلى الكوكي وعشرتنا وأيامنا الصعبة اللي عديناها سوا وأفلامنا ومسلسلFriends، والدولسيكا قشطة والليكوريش.

إلى نبيل عبد الحميد وسهراته، إيهاب أبو المجد أخويا الكبير.

إلى بسمة، إيمان، مايا.

دمتم دائمًا هنا.

نادر بكر

الفصل الأول

٥ أغسطس ٢٠١٧
السابعة والنصف صباحًا، النزهة – القاهرة.

يرقد "هشام مروان" ذاك الشاب الثلاثيني على سريره داخل شقته، وقد فرد ذراعيه على السرير واتخذ وضع النوم المحبب له واضعًا رأسه تحت مخدته،
فيما ترقد بجواره "علياء" عشيقته، أو كما يسمون تلك العلاقات الآن بالـ " American Relationship "، فهي عشيقته السرية منذ حوالي ستة أشهر، فقد اعتاد هشام على وجود علاقة كهذه في حياته منذ انفصاله عن "تقى" زوجته منذ ستة أعوام.

"الوقت بينسى"، هكذا كان يظن هشام وهكذا يظن أغلب الناس، لكن وضع هشام عكس ذلك، كلما مر وقت أطول في فترة ابتعاده وانفصاله عن "تقى"، كلما أحبها أكثر، كلما أرادها أكثر، كلما طاردته في أحلامه أكثر وأكثر، كلما اشتاق وحن وأراد لو تمكن أحدهم في أي بقعة في العالم من صنع

آلة تمكنه من العودة بالزمن مرة أخرى إلى تلك الليلة الغابرة التي تركته فيها وسمح لها بذلك وطلقها وتركها تبتعد عنه غير مكترث، معتقدًا أن هذا الانفصال سيجعل حياته أكثر هدوءً، لن توجد مشاكل بعد الآن، لن يعرف النكد له طريق، لن يكون هناك أسئلة كـ"كنت فين؟ - رايح فين؟ – بتكلم مين؟ – رقم مين ده؟"، وبالفعل، لقد اختفى كل ذلك واختفت تقى، لكنه اشتاق إلى كل ذلك الآن، رغب فيه الآن، يريده أكثر من أي شيء في حياته الآن.

اليوم هو عيد ميلاد تقى، الخامس من أغسطس، ويبدو أنها تطارد هشام الآن في حلم آخر كالعادة، وكالعادة لم تتحدث له خلال أي حلم منهم، كل أحلامه بها كانت صامتة، حتى في تلك الأحلام التي كانت سعيدة بالنسبة له، كانت صامتة أيضًا، لم يسمع هشام صوتها منذ ستة أعوام ولا حتى بالحلم!

استيقظ هشام ورفع رأسه ثم نظر إلى جواره فوجد علياء ما زالت نائمة، ظل برهة على سريره يحاول استجماع قواه حتى نهض من مكانه متثاقلًا ودخل إلى الحمام ليأخذ دش

الصباح، ثم شرع في غسل أسنانه وتصفيف شعره وانتهى وخرج ليكمل ارتداء ملابسه ليذهب إلى عمله.

هشام مروان هو رئيس قسم المبيعات Sales Manager في شركة عقارات كبيرة في منطقة "شيراتون المطار"، رغم صغر سنه إلا أنه من أكفأ موظفين الشركة، وقد استحق هذا المنصب.

ارتدى هشام بدلته السمراء الأنيقة، ثم توجه إلى مبطخ شقته ليقوم بعمل النسكافيه مع بعض قطع الباتيه الصغيرة، قام بوضعهم على صينية صغيرة وتوجه نحو الصالة ليتناول طعامه أمام التلفاز كعادته كل صباح.

قام بتغير ورقة النتيجة الموضوعة أعلى التلفاز وقطع ورقة ٤ أغسطس، ليرى أمامه يوم ٥ أغسطس، تمعن في النتيجة بعض الوقت، دار في عقله الكثير من الأحداث، لم يكن من المفترض أن يكون بمفرده في هذا اليوم، كانت هناك طقوس معتادة ينبغي عليه فعلها الآن، كحجز مكان إقامة عيد ميلادها، أو حجز التورتة، أو شراء هديتها المعتادة منذ أن عرفها وهو مراهقًا في المرحلة الإعدادية، ولم يكمل عامه

الرابع عشر بعد.
أخذ شهيقًا طويلًا وأخرجه وأخرج معه كل تلك الهموم والأفكار المتراكمة في عقله، عاد إلى كرسي السفرة وجلس يتناول الباتيه ويرشف من النسكافيه، قام بإشعال سيجارة ثم وقف ودخل إلى غرفة مكتبه الخاصة.
أخذ يدور داخل الغرفة وهو يدخن سيجارته، يمر من أمام مكتبته التي تحوي أكثر من ألف كتاب، هشام مثقف، قرأ كثيرًا، قرأ عن كل شيء تقريبًا، الفضاء، التاريخ، الفيزياء، الدين، المخدرات، التكنولوجيا، قرأ عن النظريات المختلفة حول بداية الكون، نظريات الأكوان الموازية، نظريات الانفجار العظيم، التطور، مهما كانت النظريات مجنونة وغير مقبولة إلا أنه كان يقرأها، ليس رغبة في تحضير رسالة دكتوراه أو ما شابه، فهو تقريبًا نسي الكثير، بل نسي أغلب تلك النظريات وتلك المعلومات الموجودة في الكتب ولا يهتم بذلك، لكن قراءته لتلك الكتب كانت رغبة منه في الانهماك في أي شيء يشغل تفكيره، وجد في الكتب والثقافات ملاذًا جيدًا يهرب إليه، يشغل باله بأي شيء من الممكن أن لا يجعله يتذكر أحزانه، وقف أمام مكتبته، ونظر إلى الكتب نظرة سريعة،

أدرك أنه بحاجة إلى بعض الكتب الجديدة التي ستضيع وقته وستجعله يفكر في شيء آخر غير تقى، أدرك أنه بحاجة إلى الذهاب لمكتبة دكتور كمال خيري، الأب الروحي لهشام، لكن ليس هناك وقت للقراءة الآن، ويبدو أن اليوم سيكون يومًا خالصًا للتفكير فيها، لن يستطيع الهرب منها اليوم، امتلأ وجهه بالكآبة، ثم استجمع قواه وأنهى سيجارته وشرع في مغادرة المنزل وأخذ مفتاح سيارته ليتوجه لعمله.

***

التاسعة صباحًا، منطقة شيراتون المطار – القاهرة.

وصل هشام إلى مقر الشركة ودخل كعادته إلى مكتبه بعد أن رد تحية كل من قابله وحاول التودد له بقول: "صباح الخير".
دخل مكتبه وما أن جلس حتى قام بفتح اللاب توب الخاص به ليشاهد صورهما معًا، ظل يتمعن فيهم غير مكترث بالعمل، ولا بمهامه اليومية وضرورة متابعته سير العمل في الشركة، ظل يتمعن ويتذكر ويحبس دموعه، يفكر كثيرًا في حاله، كيف يحدث له ذلك بعد كل هذا الوقت، ألم تكن ستة أعوام كافية لأن ينسى حتى اسمها؟ كيف بعد أن أصبح ناجحًا، كيف بعد أن أصبح شخصية قيادية يتمنى الجميع التقرب منه، كيف بعد هذا كله يشتاق لها؟ كيف يذكرها وسط كل هذه العلاقات والناس من حوله.

السبب الوحيد أنه كان يريدها أن تشاركه كل هذا، كل ما هو فيه الآن كان حلمهما سويًا، كانت تساعده ليصل لهذا،

وها قد حقق حلمهما، لكنها غير موجودة لتشاركه إياه، كل هذا موجود، "تقى" ليست موجودة.

قطع لحظات التفكير تلك صوت دق باب مكتبه، ليجد "عمرو" صديقه القديم في الشركة يفتح باب المكتب ويدخل بابتسامته المعتادة وطاقته الإيجابية وروحه الجميلة التي ينشرها دائمًا في أي مكان يتواجد فيه، دخل وجلس على المكتب أمامه.

صباح الفل.

رد هشام بابتسامته الزائفة:

صباح الفل.

عملت ايه في البيعة بتاعة فيلتين التجمع دي؟

رد هشام غير مكترث:

ولا أي حاجة، لسه مفيش جديد.

طب ما تكلم العميل، زن عليه شوية خليه ينجز.

يا عم فكك، عنه ما اشترى.

رد عمرو مازحًا مبتسمًا:

آه، ما أنت دنيتك حلوة، بايع لك ٨ فلل الشهر اللي فات

وخربانة، دا غير الشقق اللي بتشتريها لحسابك وتاخد الكوميشن بتاعها كمان، إنما أنا غلبان، فيلا كل شهرين تلاته دا لو بعتها.

ابتسم هشام ابتسامة صفراء وهرش في ذقنه ولم يرد.
مالك يا ابني؟
مفيش، أنا تمام.
عبس وجه عمرو للحظات فهو غير معتاد على هشام البائس هذا:
هشام أنا مبحبش أتكلم في الحاجات دي، بس أنت متغير فشخ بقالك فترة طويلة، وشك دايما قافل، ومقريف، محدش متعود عليك كده، أنا كنت بنفض وبقول مسيره هيروق.

هشام يسرح بنظره بعيدًا ولا يرد أيضًا فأردف مستكملًا حديثه:

طب بص، مش عايز أعرف إيه اللي عندك ولا اللي عامل فيك كده، دي حاجه تخصك وأنا فاهم يا معلم إن في حاجات

مبنحبش نتكلم فيها، بس جهز نفسك بقى كده إنهارده بالليل هعدي عليك، عاملك مفاجأة هتفكك من كل اللي أنت فيه ده، في ناس عايزه تشوفك بقالهم فترة وأنا وعدتهم إني هجيبك إنهاردة.

هشام يرد بلا مبالاة:
- مفاجأة ايه؟ وناس مين دول؟ وبعدين ماتش الزمالك انهاردة.
يا عم مش الماتش الساعة ٧، احنا سهرتنا بتبدأ ١٢، متحاولش تفلق مني ها؟ يالا، هقوم أطير بقى أشوف لي أي عميل أتسنكح عليه، متنساش بقى.
تنهد هشام قليلًا ثم أراد أن ينهي هذا النقاش:
- خلاص قشطة.
ينظر هشام إلى عمرو خارجًا حتى يغلق الباب، ويعود ليفتح الصور مرة أخرى على اللاب توب ويتمعن فيها ويكمل تفكيره واسترجاع ذكرياته، هو يعشق ذلك، يحب أن يتذكرها دائمًا رغم الإرهاق الذهني والتعب النفسي بسبب كثرة التفكير فيها، لكن حتى هذا أصبح ممتعًا له،

تعلم جيدًا ما سيرهقك ويستنزفك نفسيًا ورغم ذلك تود أن تفعله كل دقيقة.

***

الخامسة مساءً، منطقة وسط البلد – القاهرة.

يجلس دكتور كمال خيري دكتور الفلسفة بجامعة القاهرة سابقًا، داخل مكتبته العتيقة الكائنة بأحد عقارات وسط البلد الأثرية من القرن التاسع عشر، تفوح رائحة العتاقة الممزوجة بالتراب في الهواء على باب المكتبة أثناء دخولك إليها، تشعر وكأنك تنزل إلى قبر أحد مومياوات الفراعنة، بالذات عند رؤيتك لدكتور كمال وهو جالس على مكتبه المتهالك المليء بالكتب والمجلدات، يرتدي نظارته ذات السلسلة الملفوفة حول رقبته، يتمعن في قراءة المزيد والمزيد من الكتب، طول الوقت، تشعر وكأنه لم يفارق هذا الكرسي الجالس عليه منذ العدوان الثلاثي.

هناك صديق له قادم، نسمع صوت أقدامه تنزل درج المكتبة، ينظر دكتور كمال من فوق عدسات نظارته البالية لاستكشاف الشخص المقتحم لخلوته، يجد هشام مروان، الابن الروحي له، ها قد جاء في زيارة أخرى له، فقد اعتاد

هشام المجيء إلى هنا، للاطمئنان عليه من ناحية، ولمناقشته ومجادلته في بعض الأمور الثقافية أو الاجتماعية، أو حتى محاولة جر شكل هذا العجوز المثقف، واقتناء بعض الكتب التي يقترحها عليه، ابتسم دكتور كمال عند رؤيته ثم ألقى تحيته المعتادة عليه:

أهلًا.

وحشتك أنا.

قالها هشام مبتسمًا، أثناء توجهه إلى المكتب ليقبل رأسه أبيه الروحي، ثم عاد ليجلس أمامه على المكتب، قبل أن يجد الكرسي كالعادة مليء بالأتربة، فيمسك كتاب من على المكتب ويزيل به التراب المتراكم على الكرسي قبل أن يجلس .

هنوسخلك البدلة بقى كالعادة معلش.

أهي كده كده هتتوسخ، إن مكنش من التراب ده، هيبقى من التراب اللي برة، وبصراحة التراب ده أحسن لي بكتير من تراب برة.

اشمعني يا أخويا؟

أهو تحسه تراب نضيف كده، مثقف.

ابتسم دكتور كمال، ثم شرع في الاطمئنان عليه، يبدو أنه ليس على ما يرام:
قولي، إيه أحوالك؟
امممم، مفيش، عادي، زي منا مفيش جديد.
أنت مش جاي هنا عشان ترد الردود الروتينية المحفوظة اللي بتردها على الناس دي.

ابتسم هشام، تنهد وأخرج سجائره، أشعل واحدة له وأعطى أخرى لدكتور كمال، امتزج دخان سجائرهم مع تراب الهواء الموجود في المكتبة، فيما ظل دكتور كمال يرمق هشام بنظرات استجواب تشبه نظرات ضباط أمن الدولة أثناء تحقيقهم مع المشتبه بهم منتظرًا أن يلقي هشام ما بداخله، رفع هشام رأسه وأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته وتطاير الدخان كثيفًا في الهواء ونظر للدكتور:

تقى.
ابتسم دكتور كمال ابتسامة خفيفة ونظر إلى عين هشام:

منا عارف، بس كنت عايز أسمعها منك.
تأفف هشام ونفخ هواء زفيره وشرد بنظره بعيدًا:
بقيت بتضايق أوي لما بفتكرها وببقى بالوضع ده، مبحبش نفسي أبقى كده، مبحبش أحس بالضعف ده.
رد دكتور كمال بنبرة صوت ناصحة:
إحمد ربنا انك لسه بتحس بضعف، انك لسه بتحس أصلا، الضعف ده اللي بيعرفك انك لسه جواك حاجات مماتتش، الدنيا والظروف والوقت مقدروش يموتوها.

أكمل هشام كلامه وهو شارد بنظره بعيدًا:
إنهارده عيد ميلادها، حلمت بيها، وكالعادة مبتتكلمش، ملامحها حتى بدأت تدوب في الحلم ومشوفهاش كويس، ببقى عارف إن هي، بس ملامحها مش ظاهرالى.

عقلك الباطن مبقاش قادر يفتكر، رغبتك في إنك تنسى بتمسح الذكريات دي من عقلك عشان تقدر تعيش.
رغبتي دي ملهاش أي قدرة عليها، أوقات بقعد بالشهور ناسيها ومبفكرش فيها ولا بتيجي في بالى، وأوقات تانية

بفضل بالشهور أفكر فيها كل يوم.
تشرب قهوة؟
هنسي كده يعني؟
لا أصل أنا اللي عايز أشرب قهوة بصراحة ومش قادر أقوم أعمل، فقولت أعزمك وأخليك تقوم تعملنا احنا الاتنين.
ماشي، هقوم أنا أعمل القهوة، وإنت شوف لي كتابين تلاتة أقراهم الفترة دي، بس عايز حاجة كده غريبة، حاجة أتسحل فيها من كتر ما هي مش مفهومة، حاجة متخلفة، عندك حاجات متخلفة؟
تقرأ عن الأبراج؟
لا مش متخلفة أوي كده يعني.
تنمية بشرية طيب؟
دنا جايلك عشان أنت الوحيد اللي بتفهم دماغي.
طب قوم بس إعمل القهوة أنت، وأنا هشوف لك كام كتاب إسقاط نجمي كده على كام كتاب تناسق روحي، متقلقش.
أه كده ماشي، هقوم أعمل القهوة عشان نلحق نشربها وأطلع أتفرج على الماتش.
مين هيلعب؟

نهض هشام من على كرسيه وتوجه نحو سبرتاية قديمة موضوعة على رف في جانب المكتبة، وشرع في تحضير القهوة.

في غيره؟! الزمالك.
والله يا ابني ما عارف أقولك ايه، زمالك وتقى وحالتك بالبلا .
لا منا مقولتلكش، ده نهائي بطولة أفريقيا، احنا لو كسبنا هنصعد كاس عالم أندية، وحالتي هتبقي أحسن من كده، بس أنت قول يا رب.
يا رب يا سيدي.

الفصل الثاني

السابعة مساءً، منطقة مدينة نصر – القاهرة.

يجلس هشام على طاولة إحدى الكافيهات الكائنة بمنطقة وسط البلد، أمامه بعض فناجين القهوة الفارغة، تسود حالة من الصمت على الجالسين، يبدو أن فريقهم المفضل لا يبلي بلاءً حسنًا، فقد خسر الزمالك بطولة أفريقيا، وازدادت كآبة هشام.

***

الحادية عشر مساءً، منطقة مدينة نصر – القاهرة.

يخرج هشام من إحدى الشقق ممسكًا في يده ورقة بيضاء، يضغط زر الأسانسير ليصعد للدور العاشر حيث ينتظر، رن هاتفه وسرعان ما أدخل يده داخل جيبه، في عادته لا يهتم بالاتصالات التي تأتيه، غالبًا اتصالات من عملاء يريدون حجز فيلا أو شقة، أو علياء تخبره أنها تنتظره في المنزل، لكن اليوم يهتم جدًا بالاتصالات عكس عادته، يبدو أنه ينتظر اتصالًا معينًا.

لا يعلم لماذا يشعر أن "تقى" ستتصل به اليوم، يراوده شعور غريب أنها ستعود يومًا ما، لن تنتهي قصتهما هكذا، لن تكون هذه النهاية، متأكد من هذا الشعور، رغم مرور ٦ سنوات دون حدوث ذلك، لكنه ما زال واثقًا أنها ستعود، يدرك أنها الآن في مكان ما تسترجع ذكرياتهما معًا مثلما يفعل هو، الأمر لا يحتاج للكثير، فقط تفكر قليلًا، تتذكر بعض كلماتنا سويًا، تتذكر يومًا قضيناه، كلمة لم يكن يفهمها غيرنا، تشعر بالاشتياق، تمسك هاتفها وتتصل بي، بالطبع لن تستطيع مقاومة كل تلك الذكريات الجميلة.

يستغرب من قدرتها على الاحتمال لـ٦ سنوات كاملة دون لحظة ضعف واحدة، دون اتصال واحد، لكنه يعزي ذلك إلى ما فعله بها في الفترة الأخيرة من علاقتهما، لكنها أيضًا فعلت، لكنها أيضًا أخطأت، لكنه لا يتذكر ذلك، أحس بالضعف منذ اليوم الأول لانفصالهما، لكنه لم يستطع حتى الوصول إليها، لا يعرف أين ذهبت، أو أين يبحث، اختفت كما لو كانت حبة ملح داخل محيط.

عمومًا، ليست هي التي تتصل به، إنه "عمرو"، تذكر هشام أنه كان قد وعده صباحًا أنه سيقضي الليلة معه اليوم، تردد في الرد عليه، لكنه لم يكن أمامه الكثير ليفعله، ربما يكون عند عمرو ما ينسيه ولو بعض الوقت، أجاب على اتصاله:

ايه يا ابني، فينك؟
في مدينة نصر.
إشمعنى يعنى؟
مفيش كنت بكشف كده.
رد عمرو في ذهول:
- مالك يا إتش؟
لا لا عادي شوية صداع بقاله فترة.
آه قشطة معاكوا.
طب تجيلى ولا أجيلك؟
احنا هنبقى فين أصلا؟
مصر الجديدة؟ لا يبقى أنت اللي تجيلى بقى.
معاك العربية؟

آه عربيتي معايا.
عادي يا عم هسيبها ونتحرك بعربيتك.
ماشي، خش عباس العقاد بس وكلمني وأنا هقولك واقف فين.
حبيبي، سلام.

***

طريق صلاح سالم – القاهرة.

يجلس عمرو على مقود السيارة وبجواره "سعيد"، صديق قديم لهما، أما في الخلف يجلس هشام ناظرًا من شباك السيارة إلى أضواء السيارات غير مكترث بضحك أصدقائه وشلته القديمة ولا بصوت الأغاني الصاخب داخل السيارة، أما بجواره يجلس أحمد بنظارة النظر الكبيرة خاصته، وأمامه ويبدو أنه مندمج في فعل شيء ما، يضع ورقة على قدمه عليها بعض تبغ السجائر وقد أضاف إليهم قطعة من مخدر الحشيش، وبدأ في لف سيجارة حشيش، أو كما يدعوها "جوب حشيش"، أو "بوب حشيش"، أو "جوينت"، وات ايفر!

انتهى أحمد من لف السيجارة ثم مد بها يده إلى هشام حتى يبدأ في إشعالها، لكن هشام يرفض ذلك، فقد أقلع عن شرب المخدرات منذ سنتين، ولا يرغب في العودة إلى ذلك من جديد، فقد كان هذا سببًا أساسيًا في انفصاله عن تقى،

لكن عمرو لا يوافق على هذا، بالذات اليوم، فلا يجب على أحد أن يفسد اليوم أو لا يشارك في أحداثه كاملة، فوجه عمرو حديثه إلى أحمد:

يا عم سيبه سيبه، لما نوصل هشربه غصب عنه.
- يا ابني مش عاوز أشرب، أنا ما صدقت أبطل، أنت شيطان؟ لا ما هو إنهارده مفيش تبطيل، وحق التجميعة دي، ما حد هيفصلنا إنهارده، هو احنا هنتجمع كل يوم ولا ايه يا هشام؟ عاوزين نرجع حاجة حلوة من ريحة زمان بقى.

-ما هي الريحة رجعت وفايحة أهي، هنرجع إيه أكتر من كده؟
خلاص إحنا وصلنا أهو، وهوريك الريحة على أصولها بقى.
يقف عمرو بسيارته أمام كباريه "سيزار" بمنطقة مصر الجديدة، نزلوا جميعًا ثم توجهوا إلى الداخل، صعدوا السلم الضيق وبدأت أصوات الموسيقى من داخل الكباريه بالوصول إلى آذانهم حتى وصلوا إلى الممر الضيق المؤدي إلى باب الكباريه، يقف اثنان من البادي جاردات مفتولي

العضلات لتفتيش الزبائن قبل الدخول، حتى لا يتكرر المشهد المأساوي في فيلم "كباريه"، لكي لا يكون هناك "أخيرًا سأنال الشهادة" مرة أخرى!

بعد التفتيش البسيط يُفتح باب الكباريه ليظهر هذا العالم الآخر، إنه العالم الموازي، تستقبلهم المدعوة "نوجا" التي تدير الكباريه، عند النظر لها تدرك أنها تمتلك جميع المقومات لذلك، جسم ممشوق، فستان قصير يظهر تلك المفاتن ويجذب انتباه جميع من يلمحها طرفه إنسانًا كان أو حيوان حتى، يدعوها الجميع بـ"الست نوجا"، وجودها على الباب لاستقبال زبائنها بالقبلات والأحضان، سواء كانت تعرفهم أم لا، تلك القبلة وذاك الحضن قادرين على خلق زبون دائم للمكان، فإذا كانت تلك المرة الأولى لك في هذا المكان، ووجدت هذا المرأة في استقبالك، بالطبع ستعود مجددًا، ربما ستعود في اليوم الواحد مرات عديدة حتى تستقبلك "نوجا" مرة أخرى!

في المقدمة كان "عمرو" الذي تعرفه جيدًا، فهو زبون دائم

هنا، استقبلته نوجا استقبالها المعتاد، ثم كان "هشام" الذي مد يده اعتقادًا منه أن "نوجا" تمتلك بعض من الحياء الذي يجعلها تسلم باليد فقط على شخص لا تعرفه، لكن ما إن مد يده إليها حتى جذبته إلى أحضانها وقبلته على وجنتيه فارتسمت ضحكة بلهاء على وجهه ودخل إلى الطاولة التي جلس عليها عمرو صديقه ونظر في الخلف ليرى نفس الضحكة البلهاء تعتلي وجهي سعيد وأحمد، اللذان بالطبع نالا حصتهما من الاستقبال الرسمي لكباريه سيزار.

جلس الجميع على الطاولة ثم تقدمت نوجا إليهم وفي يدها فتاة ترتدي اليونيفورم الخاص بالمكان ثم حدثتها بصوت مسموع:

"خليكي هنا مع البهوات، عمرو باشا ده بتاعنا،ها؟!"

قاطعها عمرو وهو ينظر إلى تلك الفتاة قائلًا:

"وإنتي هتوصى سارة عليا ولا ايه؟"

ردت نوجا متعجبة:

"الله؟!، دا انتوا معرفة بقى، طب أخلع أنا ولو احتجتوا أي حاجة قولوا جزر بس".

ثم أطلقت ضحكة رقيعة على هذا الإفيه السخيف، لكن إفيه سخيف من "نوجا"، قادر على جعل كل من سمعه ينشرح وترتسم على وجهه ضحكة مجاملة لتلك النوجا!

اتخذت سارة وضعيتها بجوار كتف عمرو واضعة يدها على الكتف الآخر، فرفع عمرو رأسه لها:
عاملة إيه يا قلبي؟
- عاملة كل حاجه حلوة، بس أنت اللي مبقتش بتسأل!
هسأل ليه هو إنتي مراتي؟!
تنطلق الضحكات منهم جميعًا فيما يظل هشام ينظر إليهم دون ابتسامة.
-ماشي يا سيدي، مقبولة منك. نجيب إيه؟
بصي بقي يا ستي، هاتي واحدة فودكا، وأربعه استيلا...
يقاطعه هشام:
- "أنا مش هشرب"
بقولك إيه، أنت تفك بقي شوية كده،
احنا جايين هنا عشانك أصلا، متقفلش أم القاعده بقى.

- ماشي يا عم هفك، بس مش هشرب،
أنا ما صدقت بطلت ومش عايز أشرب تاني.
يتوجه عمرو بالنظر إلى سارة الواقفة بجواره مرة أخرى:
بقولك ايه، سيبك منه، أربعة ستيلا زي ما قولتلك.
- بس كده، من عنيا.
وتستعد للمغادرة، فيجذبها عمرو من يدها:
بقولك، خدي هنا، انتي مستعجلة في كل حاجة كده؟ "يغمز لها"

- الدقيقة بحساب، أنت سيد العارفين. "تغمز له أيضًا"
طب هاتيلنا طبق نرول عليه كمان، ودفتر بفرة بقى، وكفاية غمز لحسن بوليس الآداب خد باله خلاص.
ثم يخرج ورقة سلوفان من جيبه ويفتحها لنجد بداخلها قطعة حشيش يمسكها ويقطع منها قطعة صغيرة بأسنانه، ثم يعطي تلك القطعة الصغيرة إلى سارة.
خدي دي مسيلى بيها على فخادك.

فما كان من سارة سوى أن أخذتها من يده ثم وضعتها

في مخبأ ما داخل حمالة صدرها، وسط نظرات أحمد من تحت نظارته وقد تصبب عرقه، يعترض عمرو على وضعها للحشيش في هذا المكان، فالحشيش يجب أن يحفظ في مكان جاف.

إيه ده إنتي بتحطيها فين؟ كده هتكرف.

ترد سارة:

هو في كرفة أحسن من كده؟

"الكرفة هي تغير طعم شيء نتيجة اختلاطه بشيء آخر".

أحمد الذي تبدو على وجهه علامات الحيحنه من خلال نظراته، مستمر في النظر لها من تحت النضارة، يأخذ باقي قطعة الحشيش من يد عمرو ويعطيها لسارة:

"طب ما تاخدي دي كمان تدفيها مع أختها، وتبقى تجيبيها نشربها ببركتها وبركه كرفتها".

تطلق سارة ضحكة رقيعة فيما يأخذ عمرو قطعة الحشيش التي أعطاها لها أحمد من يدها، ويوجه حديثه لأحمد:

يا ابني إجمد شوية بقى يخربيت أمك.

روحي إنتي هاتي الحاجه يا سارة يالا، لأحسن أحمد ممكن يبيع أعضائه دلوقتي!
تغادر سارة، فيما يستمر عمرو بتوجيه حديثه إلى أحمد غير المتماسك على الإطلاق:
أنت يالا تبيع بيت أبوك ببوسة والله.
-يا عم بس تيجي اللي تديني البوسة وأنا أبيع أبويا نفسه.

يتدخل سعيد في الحوار، وهو شاب مثقف، ويرتدي لبس كلاسيكي جدًا، وجايب شعره على جنب، يبدو أنه ما زال يعيش في بداية الألفينات:
"تعرف إن في ٣٠٠ نوع بكتريا، وأكتر من ٣ مليون بكتريا بتتنقل عن طريق بوسة واحدة بس؟"
يرد عمرو على تلك الهرتلة الكلامية:
والله؟ أنا كان زماني ميت من ١٠ سنين على كده.
يرد أحمد عليهم:
- مهو عشان كده أنا مش عايز أبوس دلوقتي.
ثم يوجه حديثه إلى هشام، الذي يجلس صامتًا غير مكترث بالذي يحدث:

- وبعدين المتجوزين بيعملوا ايه بقى في الموضوع ده يا اتش؟

ينظر هشام وقد اعتلت وجهه علامات البؤس والحزن من هذا السؤال، فعلى ما يبدو أنه ذكره مره أخرى بـتقى زوجته، ينظر إلى أحمد دون رد أو كلام، فيما يضرب عمرو أحمد في قدمه من تحت الطاولة، ثم يحاول تهدئة هشام:
لا بقولك إيه يا اتش،
احنا كلنا هنا أصلا عشانك،
فكك بقى من جو البؤس اللي عايش فيه ده، وفك معانا شوية.
شعر هشام أنه بالفعل يقوم بإفساد الخروجة، يعلم هشام جيدًا أنه عليك أن تكون خفيفًا ولطيفًا في خروجة أصدقائك، لا بد ألا تكون الشخص الفصيل، الذي يفسد أي جلسة سمر بكآبته، في تلك الأثناء قدمت سارة وبجوارها شاب صغير يحمل صينية عليها الطلبات فقامت بتنزيل الطلبات على الطاولة وفتح زجاجات البيرة وصبها مع الثلج في كأس كبير موضوع أمام كل منهم ثم غادرت، فأخذ هشام كأسه

المملوءة ورفعه على فمه فأنزله فارغًا، يبدو أنه يريد أن يدخل في المود ولا يفسد الخروجة، ثم توجه بالحديث إلى سعيد الذي بدأ في لف سجائر الحشيش:
-لف يالا يا بكتيريا أنت خلينا ننسي شوية.
ثم أطلق هشام ضحكة عالية، تبعها ضحك من الجميع.

أحمد ود أن يشجع هشام على الاستمرار في الضحك والدخول في أجواء السهرة:
-ايوة بقى يا إتش، واحشني أقسم بالله،
فك بقى يا عم.

فيما ظل هشام يوجه حديثه وتهكمه على سعيد:
-٣ مليون بكتيريا؟
وده مين اللي عدهم؟
فرد سعيد دون تفكير:
ولا أعرف، أكيد واحد بيبوس كتير.
- وهو لو بيبوس كتير هيبقى فاضي يعد يا غبي؟
انطلقت الضحكات من أرجاء الطاولة، فالافيه ليس بالقوة

الكافية لجعل تلك الضحكات تعلو، ولكن الجميع يحاول مجاملة هشام وإخراجه من مود الكآبة الملازم له من بداية السهرة، يرفع عمرو كأسه في الهواء ويقف وهو يردد:

إتش إذ باك يا جدعان.

فيقف الجميع حاملين كؤوسهم ويطرقونها في بعضها البعض ثم يرفعونها على أفواههم وتبدأ سهرتهم، وبدأت العربدة!

***

بعد ساعة،
امتلأت الطاولة أمامهم بزجاجات البيرة الفارغة وبقايا أعقاب السجائر وكارتلات الحشيش، "الكرتلة هي الاسم الشعبي لفلتر يصنع من الكرتون يستخدم عند لف سيجارة حشيش"، وبقايا قشر سوداني ولب وترمس، فيما نرى الأربعة قد أسندوا رؤوسهم على الكراسي بعدما أنهكهم الشرب والضوضاء تخللت خلايا عقلهم السمعية حتى كادت أن تفقدهم القدرة على السمع، اقتربت منهم الراقصة وهي تهتز على أنغام التلوث السمعي الذي يخرج من فم ذاك المغني الواقف على المسرح صارخًا في الميكروفون.

رفع هشام رأسه ليجد الراقصة تجذبه من يده حتى يقف ويرقص معها، ليس حبًا فيه لكن رغبة في أي يدخل يده في جيبه ويخرج رزمة من النقود يرميها فوق رأسها، فهذا هو دورها، تحفيز جميع العالقين في هذا المستنقع لإخراج ما تحويه جيوبهم من أجل جذب الانتباه من الحضور، فيما يتهافتون جميعًا لجذب الانتباه المزعوم ويتسابقون فيما

بينهم لجذب الراقصة تجاههم، وقف هشام ونظر إلى عين تلك الراقصة ثم بدأ في الاهتزاز والرقص معها.

على القول أنه كان بارع في ذلك لدرجة جعلت جميع الموجودين في المكان ينظرون إلى هشام وإلى رقصاته التي تتماشى مع أنغام الموسيقى، وهذه ميزة من ميزات الحشيش، يجعل كل شيء جميل، حتى تلك الموسيقى المزعجة، تدخل إلى أذن هشام ثم تتخلل خلايا عقله التي كان قد حفزها الحشيش لاستقبال أي شيء حولها وتجميله، يقف جميع الحضور ويصفقون لهشام ويضحكون على ما يفعله، فقد جذب الانتباه حتى من الراقصة وأصبح الجميع يشجعه ويحفزه على استكمال رقصه المتناغم هذا، حتى أخرج أحدهم من جيبه رزمة من النقود وقام بقذفها في الهواء لتتساقط على رأس هشام وهو يرقص وسط تهليل من أصدقائه، فيما كانت "نوجا" تتابع ما يحدث وتبدو على وجهها علامات السعادة مما يفعله هشام، فما كان من باقي الحضور سوى فعل المثل، وهكذا أصبح الجو ملغمًا بالنقود المقذوفة في الهواء، وكل ذلك كان هشام سببًا فيه.

لم يستطع أحد إيقاف هشام سوى انتهاء الأغنية الخزعبلية تلك، وانتهاء فقرة الراقصة، فأمسكت برقبة هشام وقبلته على خده ورفعت يده للأعلى حتى يحييه الجميع ويصفق له، ثم قبلها هشام هو الآخر وذهب باتجاه أصدقائه وعاد للجلوس مرة أخرى، فوقف عمرو مندهشًا مما فعله هشام فاردًا ذراعيه له ليرتمي في أحضانه قائلًا:

آآآه يا إتش يا ثعلوب،

وحشتنا يا راجل ووحشتنا أيام ثعلبتك.

ضحك هشام وأخذ كأسًا آخر وقذفه إلى داخل فمه، ثم عاود النظر إلى عمرو وقد برزت عيناه من فرط الشراب والرقص:

يا جدعان أنا حمار فشخ.

استغرب الجميع من رد فعل هشام ورددوا في نفس واحد"

"ليه؟"

عشان كنت بطلت شرب، لفيلنا جوبين يالا يا بكتيريا أنت، أهاهاهاهاها.

أطلقت الضحكات كالعادة وما أن جلس هشام على الطاولة

حتى قدمت "نوجا" وتوجهت بحديثها إلى هشام:
إيه الحلاوة دي، أنت اسمك إيه؟
أنا الثعلوب.
ضحكت نوجا ضحكتها الرقيعة الشهيرة، ثم وضعت يدها داخل صدرها وأخرجت سيجارة ملفوفة ووضعتها فوق أذن هشام:
دي تحية بسيطة كده مني، من الست نوجا، للثعلوب بتاعنا .
مد هشام يده وأخذ السيجارة من فوق أذنه ونظر لها، ثم نظر إلى نوجا مرة أخرى:
من الثعلوب إلى الست نوجا، روحي يا شيخة ربنا يباركلك.
انطلقت الضحكات مرة أخرى بينما طبطبت نوجا على كتف هشام وغادرت، فيما قام هشام بإشعال تلك السيجارة المقدمة له خصيصًا من الست نوجا، وما أن أشعلها وسحب منها نفس واحد، حتى احمر وجهه وانطلقت الكحة من أعماق صدره، وبينما هو يكح ويصدر التأوهات مد يده بها إلى عمرو الجالس بجواره، فأخذها منه وسحب منها نفس هو الآخر، ليحدث له مثل ما حدث لهشام، وظلت

تلك السيجارة تنتقل بينهم هم الأربعة، عازمون على إنهائها رغم شدة تأثيرها عليهم، ولكن تلك الكحة واحمرار الوجه أهون عليهم من أن يظهروا بمظهر الشباب النايتي، الذي لا يقدر على إكمال سيجارة ملفوفة من "ست"، حتى وإن كانت هذه الست هي "نوجا".

الفصل الثالث

شقة هشام، النزهة.

ظلام دامس، هدوء تام يستمر لفترة، يقطع هذا الهدوء صوت جرس الباب، صوت مزعج، يدق جرس الباب بشدة، فتح هشام عينيه وقد أحس بصداع شديد في رأسه، الجرس ما زال يصدر صوته المزعج، أحدهم يضغط على الزر دون انقطاع، غضب هشام بشدة وهو ما زال ممدًا على سريره واضعًا يده فوق وجنته من شدة الصداع، صوت الجرس كأنه رصاصة تدخل إلى رأسه مرات ومرات، أخرج هشام كل ألمه وغضبه من أعماق حنجرته:

طيب، الله.
توقف صوت الجرس، واستجمع هشام قواه، ونظر بجواره فلم يجد "علياء"، أدرك على الفور أنها هي التي ترن الجرس، وقف واتجه نحو الباب، مر من أمام المرآة، ثم توقف، وعاد مرة أخرى ونظر فيها، وجد جبهته مصابة وقد ضمدها أحدهم ووضع عليه إحدى اللصقات الطبية، أزال هشام

اللاصقة ونظر إلى الجرح بتمعن واستغراب، انطلق صوت الجرس مرة أخرى ممزوجًا بخبط على الباب، توجه هشام نحو الباب وهو يتحدث إلى علياء:

إنتي كنتي فين على الصبح كده مش فاهم يعني؟
وصل إلى الباب، أمسك بالأوكرة، وفتح وهو ما زال يحدثها:
وبعدين فين أم المفتاح اللي أنا م...
صمت هشام، توهجت عيناه، فتح فمه، كما لو كان رأى ملك الموت أمامه، تسارعت أنفاسه، علامات الاندهاش تكسو وجهه، صدمة جعلته يتوقف حتى عن البربشة بعينه، لم تكن "علياء" من ترن الجرس،
إنها "تقى".

تخرج تقى بعض أكياس التسوق من الأسانسير، فيما تقف طفلة صغيرة ممسكة بقطعة من الحلوى في يدها وتمضغ فيها، يمعن هشام النظر في وجه تقى أثناء إخراجها للأكياس من الأسانسير، ينظر لها نظرة، ثم لتلك الطفلة نظرة أخرى، عجز تمامًا عن الكلام، عجز تمامًا عن إصدار أي رد فعل،

عقله مشتت ولا يدري ما يقول أو يفعل أو حتى يفكر، إنه حلم، بالتأكيد حلم من تلك الأحلام التي أحلم بها، نعم، هذا التفسير المنطقي الوحيد لما يحدث الآن، حلم كالعادة، أنا أحلم بها مرارًا وتكرارًا، وهذا أحدهم، لكن الشعور مختلف عن كونه حلم، لكنه حلم، إنه حلم بالتأكيد، قاطعت "تقى" لحظات صمته وتفكيره:

ما تاخد الحاجة من إيدي، هو في إيه؟

إنه صوتها، نعم، لقد تذكره جيدًا، لم يسمعه منذ ستة أعوام، لكنه ما زال يدركه من وسط ألف صوت، لكنها لا تحدثه في الأحلام، ما الذي يحدث؟ حسنًا، هو حلم مختلف، هي تتحدث في هذا الحلم، ربما لشدة اشتياقي لها الفترة السابقة، الرغبة الجامحة لعقلي الباطن في أن أسمع صوتها، جعلتها تتحدث هذه المرة، أليس كذلك؟

قاطعته تقى التي ما زالت تخرج الأكياس وترصها أمام الباب:

هشام في إيه؟ واقف كده ليه ما تدخل الأكياس دي جوه، ودخل البنت.

نظر هشام إلى الطفلة التي وجدها تنظر له نظرات كلها حب وبراءة، لكنه عاجز عن فعل أي شيء، ما زال في الصدمة، ما زال غير قادر على استيعاب ما يحدث.

قاطعته "تقى" للمرة الثالثة صارخة في وجهه:
هشام؟ أنت مش سامعني؟
ها؟
ها إيه؟ أنت نايم؟
لا، لا مش نايم.
طب دخل الأكياس يا حبيبي، دخل الأكياس يا بابا، دخل الأكياس وفوق كده.
حاضر.
أمسك هشام ببعض الأكياس وأدخلها إلى الشقة، قام بوضعها على طاولة السفرة، ثم عاد ليأخذ ما تبقى، إلا أن الطفلة قد وقفت أمامه، ما زالت ممسكة بقطعة الحلوى وتمضغ فيها، نظرت له مرة أخرى، ثم رفعت يدها بقطعة الحلوى قائلة:
بابا، شوف ماما جابت لي إيه؟
لم يرد هشام، لكنه وقف وعادت علامات البلاهة تعتلي

وجهه مرة أخرى، هناك كمية كبيرة من الصدمات التي لا يقدر على احتمالها مرة واحدة، لا بد لأحد ما أن يهزه حتى يصحو من ذاك الحلم.

أو لا، لا أريد أن يوقظني أحد، إنه الحلم الأفضل على الإطلاق، تلك المرة لم تكن تقى فقط، بل تقى وتتحدث لي عكس كل الأحلام السابقة، بل تقى تتحدث وطفلة تدعوني "بابا"، إذا هي ابنتي، أمر بديهي ومنطقي، إذًا فلأحتضن تلك الطفلة الجميلة، لم أجرب هذا الإحساس من قبل.

أخذ هشام الطفلة بين أحضانه، وضمها إليه بشدة، إنه شعور حقيقي، يشعر بكل شيء في هذا الحضن، إنه كما الواقع تمامًا، الشعور غريب بدرجة لا توصف.

أشعر أنها ابنتي فعلًا، أشعر أنني اشتاق إليها بمرارة لا توصف، رغم إنها المرة الأولى التي أراها فيها حتى في أحلامي. لم يشعر هشام بما يفعله، لم يشعر بتلك الدموع التي انهمرت على خده، لم يشعر بقوة احتضانه لطفلة صغيرة

لا تقوى عظام جسدها على احتمال هذا الضغط الهائل المتسببة فيه يديه، وقف هشام مرة أخرى ووضع كلتا يديه على رأسه، فيما أدخلت تقى ما تبقى من الأكياس وقامت بغلق باب الشقة، ثم توجهت إلى غرفة النوم لتغير ملابسها، فيما وقف هشام مكانه واضعًا يده على رأسه، لا يدور في رأسه سوى سؤال واحد يتردد ألف مرة في الثانية الواحدة "ما الذي يحدث؟!"

صوت تقى يأتي من داخل الغرفة:
هشام دخل الأكياس في المطبخ وطلع الحاجة منها ورصها في التلاجة على ما أغير هدومي.

ثم وجهت حديثها إلى الطفلة:
تعالي يا "جنة" يا حبيبتي أما أغير لك هدومك يالا.
هرش هشام في رأسه ونظر للطفلة:
إنتي "جنة"؟
هزت الطفلة رأسها وابتسمت ابتسامة تغمرها البراءة لوالدها:

واللى جوه دي اسمها ماما "تقى" صح؟
هزت الطفلة رأسها مرة أخرى ولكنها ضحكت تلك المرة ولم تكتفي بالابتسامة لوالدها:
وأنا بابا "هشام" صح؟
هزت الطفلة رأسها للمرة الثالثة على التوالي، قبل أن يرد هشام:
أحيه، أحيييه.
أطلقت الطفلة ضحكة عالية، فيما قدم صوت تقى من داخل الغرفة مرة أخرى:

هاتها يا هشام خليني أغير لها قبل ما توسخ هدومها بالقرف اللي بتاكله ده، هتوقعه على هدومها وانا مش كل يوم هغسل.
حمل هشام جنة، وتوجه نحو الغرفة، وقف أمام تقى التي تفك دبابيس طرحتها أثناء فكها إياها وهي تنظر في المرآة، وظل يتمعن فيها وفي كل ملامحها، نظر إلى شعرها، يتذكره جيدًا، اقترب منها وقام بشمه، إنها رائحته، إنها رائحة شعرها التي كان يشتمها دائمًا أثناء احتضانه لها، من المستحيل أن

يكون هناك حلم بكل تلك التفاصيل الدقيقة.

لكن ليس هناك وقت للتفكير فيما يحدث، إنها تقى أمامي الآن، ولسبب ما هناك طفلة تدعى "جنة" بين ذراعي حاليًا وهي ابنتي، ويبدو أننا نعيش حياة سعيدة، إذًا لا وقت للتفكير في أي شيء، فلنفترض أنه حلم، حسنًا، هو حلم، لكني سأعيش تلك التفاصيل التي انتظرتها طويلًا،

نظرت تقى إليه، ثم مدت ذراعيها لتأخذ "جنة" منه، لكنه لم يفلت ذراعيه من حولها، ظل ناظرًا إلى تقى، ولا يتحدث.
في إيه يا هشام؟
وحشتيني.
لا والله! من امتي؟
مش عارف.
طب هات البنت خليني أغير لها.
هو إنتي زعلانة مني أو حاجة؟
هزعل ليه؟ هو في إيه مالك غريب ليه كده؟
ايه الغريب في إني أقولك وحشتيني؟

منا لما كنت بقولك وحشتني كنت تقولى وحشتك ايه محنا طول الوقت مع بعض هوحشك إمتي!
أنا؟!
لا أمي!
طب، إيه؟
هشام في ايه؟
أنا نفسي أحضنك.
صمتت تقى، لا تفهم هي الأخرى ما يحدث، هي لم تعتد هشام كذلك، اعتادته فاترًا منذ فترة طويلة، لا يحدثها بتلك النبرة، ولا يحدثها بتلك الكلمات، لكنها هي الأخرى كانت تشتاق لذلك، تريده، كانت تطلبه كثيرًا، ولا تجد سوى الفتور والتهكم من قبل هشام، صمتت ونظرت في عينه، وجدت تلك اللمعة، تذكرتها جيدًا، تذكرت تلك النظرة التي كان يرمقها بها هشام في بداية علاقتهما، تذكرت كل شيء في تلك الثواني المعدودة، ارتسمت على وجهها ابتسامة كانت قد فارقتها منذ وقت طويل، تلك الابتسامة النابعة من داخل أعماق قلبها، شعرت أن قلبها هو من يبتسم بعد جفاء طويل، اقتربت من هشام خطوة، واقترب هو الآخر

خطوة، حمل "جنة" على يد واحدة، واليد الأخرى التفت حول وسط تقى وضمتها إليه، ثم زادت قوة الضمة، أسند هشام رأسه على كتفها وأغمض عينه، اشتم شعرها، قامت هي الأخرى بضمه وإسناد رأسها على صدره وأغمضت عينها هي الأخرى، وظلوا هكذا لعدة دقائق، هدوء، ولا يوجد سوى أصوات أنفاسهم فقط.

أفلت هشام قبضته عليها، بعد أن هدأت روحه قليلًا، ثم نظر لها في عينها وأعطى لها "جنة" حتى تقوم بتغيير ملابسها، فيما خرج هو إلى الصالة ممسكًا بهاتفه.

فتح هشام قائمة الأسماء الموجودة على موبايله، يريد الاتصال بعمرو صديقه للاطمئنان عليه، ولكن،
رقمه غير موجود!!
كيف ذلك، هو متأكد من أن رقم عمرو مسجل على هاتفه، فقد هاتفه آلاف المرات من قبل، فتح سجل المكالمات فوجد أسماء وأرقام غريبة، لا يعرف عنهم شيء.

يا إلهي الوضع غير محتمل لكل ذلك، ثواني!
هل من الممكن أنني تقدمت بالزمن مثلًا؟ أو رجعت بالزمن؟ لقد قرأت من قبل عن الزمكان ونظريات التحكم بالزمن.
جرى هشام على النتيجة الموضوعة فوق التلفزيون، نظر فيها فوجد تاريخ ٥ أغسطس ٢٠١٧، نظر للغرفة وصاح:
حبيبتي هو إنهارده ٥؟
جاء الرد سريعًا من داخل الغرفة:
لا يا حبيبي ٥ ده كان إمبارح، إنهارده ٦.
٢٠١٧؟
هشام أنت شارب حاجة؟
معلش أصلي كنت بحلم بس ودماغي مش مركزة.
أيوة يا حبيبي ٢٠١٧.
أحيه.
بتقول إيه؟
بقولك كل سنة وإنتي طيبة يا حبيبتي.
والله؟ بعد العيد ما يتفتلش كحك يا حبيبي.
هو أنا مقولتلكيش إمبارح؟

هشام أنت بقالك ٣ سنين مبتقوليش، مبتفتكرش أصلًا.
سكت هشام ولم يرد، ثم جلس على أحد كراسي السفرة، واضعًا رأسه بين يديه، ثم قام وجرى على غرفة مكتبه، فتح الغرفة ثم وقف مصدومًا.

لا يوجد كتب، لا يوجد مكتب، إنها غرفة أطفال تقليدية جدًا، تكسو حوائطها رسومات الأطفال وشخصيات الكرتون، دخل هشام الغرفة وأخذ يتجول في أرجائها، وقف أمام بعض الصور المعلقة على الحائط، صور تجمعهم الثلاثة سويًا، تحدث هشام إلى نفسه متسائلًا أثناء هرشه لفروة رأسه:
هو ممكن يكون ده فيلم انسيبشن مثلا؟ هي التكنولوجيا دي وصلت مصر؟
ولو وصلت مصر، دماغي أنا مالها بكل ده؟ ومين دول أصلا؟
ثم اقتحمت ابنته جنة الغرفة عليه وهي تردد:
بابي، بابي.
ثم دخلت تقى الغرفة خلف ابنتها مرددة:
البنت بتنده عليك من ساعتها مبتردش ليه؟

رد هشام:
معلش والله ناسي خالص إن أنا بابي معلش.
نعم؟
لا قصدي يعني هي ليه مبتقولش "بابا" عادي، ليه بابي؟
ما أنت عودتها تقولك كده؟
لا هو واضح إن كان في حد عايش هنا ومبوظ سمعتي يعني
.
فيه إيه يا هشام؟
لا يا حبيبتي عادي مفيش حاجة.
ثم نظر إلى جنة:
تعالي يا قلب بابي.
ثم حملها وقبلها:
إيه البلوزة الحلوة دي؟ عليها أرانب جميلة، وإيه ده؟ تنين؟
مين اللي جابلك البلوزة دي؟
أنت يا بابي.
جميلة، جميلة البلوزة، يلا بقى عشان بابي يروح الشغل؟
نظرت له تقى باستغراب:
شغل ايه؟

لا متقوليلش إني قاعد في البيت والنبي ومبشتغلش كمان؟
لا أنت واخد أجازة شهر، أنت نسيت؟
طب الحمد لله طلعت أجازة.
أنا هقوم أحضر الفطار وإنت خش خد دش كده عشان تفوق شوية.
فعلا، صح، صح أنا هخش آخد دش، يمكن أصحي بقي.
تصحي إيه؟
أصحي إيه صحيح؟ أصحي ليه دا أنا أسبوع أجازة، قشطة حلو كده، قومي يا حبيبتي يلا إعملي فطار إنتي قومي.

الفصل الرابع

الرابعة عصرًا.
في صالة منزلهما، تجلس تقى على أريكة موضوعة أمام التلفاز، فيما يرقد هشام على باقي أجزاء الأريكة الفارغة واضعًا رأسه على قدمها، فيما تقوم هي بتمرير أطراف أصابعها بين خصلات شعره أثناء مشاهدتهم لفيلم عربي قديم، تركز تقى كعادتها في تفاصيل الفيلم الذي رأته على الأرجح ١٥٤٨ مرة، بينما هشام فكان لا يزال لا يصدق ما يحدث له، يحاول التكيف قدر الإمكان على ما يحدث، لا يبدو أنه حلم ولكن أيضًا لا يبدو أنه حقيقة، أمال رأسه قليلًا حتى يرى وجه تقى، وينظر إلى تفاصيل ملامحها التي كاد أن ينساها، بينما هي مستغرقة في مشاهدة الفيلم.
ما تيجي نخرج؟

لا يبدو عليها أنها سمعته، فكامل تركيزها في المشاهدة فقط
.
تقى؟ تقى؟
إيه في إيه؟

بقولك ما تيجي نخرج؟
نخرج نروح فين؟
أي مكان، نتعشى بره، ندخل سينما، نتمشى على الكورنيش، أي حاجة.
منا كنت بقولك نخرج تقعد تقولى هنخرج نروح فين ما احنا قاعدين مع بعض أهو!
والله ما أنا؟!
أومال مين؟ أمي؟!
من غير ما نجيب سيرة الأمهات بس، دنا بعرض عليكي عرض أي ست تتمناه يعني.
هو أنت مبسوط كده وبتعمل كل ده عشان الزمالك كسب يعني؟!
استغرب هشام من حديثها:
زمالك إيه اللي كسب؟!
لا متقوليش إنك مشوفتش الماتش يعني، مستحيل.
لم يرد هشام أن يجعلها تعود لاستغرابه مرة أخرى، لا شيء يبدو منطقيًا الآن، فالأمر ليس متعلق بشيء تافه مثل ذلك، فأجاب وهو يبتسم:

لا اتفرجت طبعًا أنا بهزر معاكي، يالا بقى طيب.
هو رغم إنك متغير أوي إنهارده، بس أنا حابة التغيير ده، ما تخليك كده علطول؟
قولي يا رب.
يا رب يا أخويا.
يالا قومي إجهزي بقي.
وانت مش هتقوم تجهز؟
لا ما انتي هتقعدي ساعة أكون أنا أيلت شوية على الكنبة هنا وقبل ما تخلصي بخمس دقايق ناديلى هقوم أجهز ونخلص كلنا في نفس الوقت.
تأيل؟
آه، جاية من التأييل، نومة خفيفة يعني.
طيب يا خفيف هقوم أنا.

***

مول مصر، مدينة السادس من أكتوبر – الجيزة.
السابعة والنصف مساءً.

في صالة التزحلق على الجليد الموجودة داخل المول، يرتدي هشام وتقى وابنتهما بدلات التزحلق، يلعبون ويلهون يحتضنها هشام بشدة كلما تعثرت خطواتها وسقطت، لا تنقطع ضحكاتهم، يقضون وقتًا سعيدًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى، يخوضون تجربة جديدة لطالما أراد هشام خوضها معها، لطالما أراد أن تكون موجودة في كل لحظاته السعيدة التي عاشها من دونها، استمروا في اللهو واللعب والضحكات العالية تملأ وجوههم، أخذ هشام في التقاط الصور معهما في كل مكان، رغم عدم حبه للصور السلفي وكل هذا الهراء، لكنه للمرة الأولى يشعر بجودة وفائدة تلك الصور في توثيق تلك اللحظات، ينظر الجميع في المكان إلى تلك العائلة السعيدة، يتحسر بعضهم على سعادتهم، انتهوا من لعبهم وتوجهوا إلى مطعم هادئ لتناول العشاء، استمر هشام في إطلاق كل ما في داخله من رومانسية، هنالك طاقة مكبوتة

بداخلة لسنوات.

***

شقة هشام – النزهة.
الواحدة بعد منتصف الليل.

يرقد هشام على سريره فيما تسند تقى رأسها على صدره، تتخلل أصابعه شعرها تارة، يقبلها في رأسها تارة أخرى، يتحدثان ويضحكان، لا يرغبان في النوم، لكن وات ايفر، فقد غلبهما النوم وهي راقدة في أحضانه وهو ممسك إياها بكلتا يده.

***

شقة هشام، النزهة.
السابعة والنصف صباحًا.

يرن جرس منبه هاتف هشام، يفتح عينه وينظر إلى الهاتف، يفلت إحدى يديه من حولها ليلتقط بها الهاتف وينهي إزعاج المنبه، ثم يقبل رأسها، ولكن!!

رائحتها متغيرة، ينتفض هشام من السرير وينظر إلى وجهها،

فيجد علياء صديقته هي التي تنام في أحضانه.
تنهد هشام واعتلت نظرات البؤس والامتعاض والإحباط وجهه، فقد كان حلمًا كما كان يعتقد، لكن على أية حال، فقد كان حلمًا ممتعًا، استعد ليغادر السرير كعادته ليقوم بارتداء ملابسه والذهاب للعمل، دخل إلى الحمام وقام بالاغتسال وبداية يوم روتيني قد اعتاد عليه.

انتهى من ارتداء بدلته السوداء الأنيقة، ووقف أمام التسريحة ليهندم خصلات شعره، وجد هشام نفس الجرح الذي في جبهته، وما زال يؤلمه بعض الشيء، فيما استفاقت علياء من نومها، ونظرت إليه:
صباح الخير.
صباح النور.

تمطت علياء وعلى وجهها ابتسامة عريضة، ثم أصدرت بعض التأوهات، واستمرت في النظر إلى هشام، يراها هشام في المرآة ويرى ضحكتها ونظراتها له:

إيه مالك بتبصي كده ليه؟
مبسوطة.
اشمعني، كنتي بتحلمي حلم حلو إنتي كمان؟
هو أنا كنت بحلم حلم حلو الصراحة، بس يومنا إمبارح كان أحلي من الحلم.
ألقى هشام الفرشاة من يده، ثم التفت لها:
إمبارح؟
أيوة إمبارح!
أيوة إمبارح إيه؟ حصل ايه إمبارح؟
في ايه يا هشام، لما خرجنا إمبارح، أنت ناسي؟
خرجنا فين؟
مول مصر.
ظل هشام ينظر إليها لمدة عشر ثواني دون كلام، يحاول تحليل ما تقول، ثم ما كان منه إلا أن أصدر صوتًا من أنفه واقترب منها وأمسك ذراعيها بعنف:

إنتوا هتجننوا ميتين أمي؟
صرخت علياء من قوة قبضته:

هشام في ايه مالك؟
إنتوا بتعملوا عليا فيلم بلبل حيران مثلا؟ لا أنا مش بلبل، مش بلبل أنا، تعرفيها منين يا بت؟
أعرف مين؟
لا بقولك إيه، مش هتعملوا أذكياء عليا، تعرفي تقى منين؟
يا دي تقى دي، يا أخي إنسي بقي، إنسي بقي، إنسي.
تعرفيها منين أخلصي، هي بتكلمك؟
هشام، أنا استحملتك كتير، إستحملت غباءك في التعامل معايا، واستحملت إهمالك، واستحملت جنانك عليا كتير، بس لو سمحت مش معنى إني بستحمل كل ده، إنك تهين فيا بالطريقة دي.
إحنا مخرجناش مع بعض إمبارح يا علياء، إحنا مخرجناش إمبارح.
لا خرجنا يا هشام.
لا مخرجناش، متجننونيش.
أمسك هشام بهاتفه، ثم قام بفتح الصور، ونظر في ذهول، كل تلك الصور السلفي التي كان يلتقطها مع تقى، لم تكن موجودة، بل كانت علياء تحل محلها في كل الصور، في كل

الأماكن التي كانوا بها، هرش هشام في رأسه ونظر إلى علياء التي كانت تنظر له في غرابة لما يفعله:
صدقتني دلوقتي؟
نظر لها هشام ولم يجيب، قام وخرج مسرعًا وتوجه نحو غرفة مكتبه، فتحها ليجدها كما اعتاد عليها، مكتبهُ وأوراقه وكتبه في مكانها، لا يوجد سرير أطفال ولا توجد رسومات ولا أي شيء.

جلس هشام على مكتبه واضعًا رأسه بين يديه، يحاول التفكير والتركيز فيما يحدث، لقد صحي من نومه متقبلًا فكرة أن ما كان فيه حلمًا، هو نفسه كان متأكدًا من ذلك، لكن، متى كان مع علياء؟ متى التقط تلك الصور؟ هل كانت هي التي معه بالأمس حقًا، لكن عقله صورها له على أنها تقى؟ قطع لحظات التفكير تلك صوت رنة هاتفه، نظر إلى شاشته فوجد اسم عمرو صديقه يتصل به، قام هشام بالرد عليه سريعًا:
هشام، أنت فين؟
أنا في البيت، أنت اللي فين؟

هشام إحنا لازم نتقابل دلوقتي.
أنا نازل دلوقتي، نتقابل في الشركة.
شركة إيه يا هشام، إحنا أجازة!!
إحنا إيه؟
أجازة أسبوع يا هشام.
هاهاهاهاهاها
بتضحك على ايه؟ هشام أنا في حاجات غريبة بتحصل لي ولازم أشوفك.
أنت شوفت تقى أنت كمان ولا ايه؟
تقى مين؟ أنت في حاجات بتحصل لك أنت كمان؟
حاجات؟ دنا طلعان عيني يا عم عمرو.
أنا زيي زيك، نتقابل كمان نص ساعة في مدينة نصر، بسرعة.

***

ستاربكس، مدينة نصر.
العاشرة صباحًا.

يجلس هشام وعمرو على إحدى الطاولات، فيما يشرح عمرو لهشام ما حدث له، تبدو على وجهه علامات الفزع، يتوتر ويتلعثم في الكلام:
هشام أنا فعلًا كنت بتحاسب، أنا، أنا، أنا واقف وشايف كل الناس كانوا بيبصولى، كنت شايل ورقة معرفش مكتوب عليها إيه، والناس كلها واقفين صف واحد وأنا معدي قدامهم وكلهم بيبصوا للي مكتوب على الورقة ويبصولى بصة إحتقار، مكنش حلم أنا متأكد، كنت حاسس بكل التفاصيل، مشهد الحساب اللي بيتحكي بالحرف، بالنص، أنا في رعب لحد دلوقتي.
طب يا عم ده حلم عادي، مش زي اللي حصل لي أنا خالص.
لا، لا، لا مش حلم، مش حلم، أنا متأكد، أنا كنت هناك فعلا، أنا شوفت ناس عمرهم ما كانوا في بالي، ناس كنت ناسيهم تماما، شخصيات كنت عارفها من أيام طفولتي

وماتوا، شوفتهم كلهم، إتكلموا معايا وحكولى حاجات من طفولتي مستحيل كنت أفتكرها أصلا.

زي إيه؟

وأنا صغير، كان بواب العمارة بتاعتنا راجل عجوز، اسمه "صالح"، كنت بخاف منه أوي، كان شكله مخيف، له شنب كبير وكان ليه ٦ صوابع، عنده صابعين صغيرين مش صابع واحد زينا، الصابع الصغير الزيادة ده كان بيتحرك وبيتهز وهو ماشي أو لما يحرك إيده، كنت بخاف أوي من صابعه ده، كنت بخاف أبصله، وكنت دايما بجري وأنا طالع أو نازل من البيت عشان ميشوفنيش، كنت كل ما أسأل ماما على صباعه ده كانت تقولى عيب وحرام عليك والكلام ده، لما عم صالح ده مات، بابا أول واحد عرف لما كان نازل الشغل وملقاش عم صالح قاعد قدام العمارة، خبط عليه مردش وباب الأوضة بتاعته كان مفتوح، لما بابا دخل لقاه نايم على سريره ميت، أول ما عرفت كان عندي فضول أوي إني أشوفه وهو ميت وأقرب منه، نزلت وكان بابا وشوية من سكان العمارة واقفين قدام الباب وبيظبطوا هيدفنوه فين وبيكلموا أهله وكده، اتسحبت أنا ودخلت الأوضة، دخلت

لقيته نايم ودماغه مربوطة بشاش أبيض، وإيده مضمومة كده على صدره ومربوطة برضه بشاش، قربت منه وبصيت على صابعه، و، و
وإيه؟
كنت طفل ومش فاهم، كنت عايز آخد صابعه ده، فضلت أشد صباعه من إيده وحاولت بكل الطرق إني أخلعه من مكانه، ومعرفتش، وفجأة حسيت إن صباعه ده إتحرك، خفت وجريت وطلعت البيت فضلت أترعش وخفت أحكي لماما أو لأي حد على اللي حصل، الموضوع ده كنت نسيته تماما وكان اتمحي من ذاكرتي، إمبارح عم صالح ده شوفته، وحكالي على اللي حصل وقالى إنه كان بيتوجع أوي وأنا بشد صباعه وهو ميت!
أنا حاسس إن كل اللي بيحصلنا ده من يوم ما كنا في الزفت الكباريه اللي روحناه ده، إحنا أكيد شربنا حاجة هي اللي عملت فينا كده.
يا هشام منا طول عمري بشرب، وعمري ما حصل لي حاجة زي كده.
ممكن تبقى السيجارة اللي شربناها دي، اللي نوجا إديتها

لنا.
الاستروكس؟ منا بشرب إستروكس عادي ومبيحصليش حاجة
.
هي كانت سيجارة استروكس؟
أيوة يا هشام ما أنت عارف انها كانت سيجارة استروكس.
عارف منين؟
يا ابني لما كنت تعبان ودخلتك الحمام ترجع، الراجل اللي كان شغال في الكباريه ودخل يطمن عليك ده، ما هو اللي قالنا انها سيجارة استروكس.
حمام إيه، أنا مش فاكر حاجة.
يا ابني بعد ما شربنا، أنت تعبت وعرقت جدًا، وكنت عايز ترجع، سندتك لحد الحمام عشان ترجع، سيبتك وخرجت أجيبلك لمونة أو أي حاجة تفوقك، رجعت لقيتك واقع في الأرض ودماغك اتخبطت في السيراميك تقريبًا وإتعورت.
آآه، التعويرة اللي في راسي دي؟
أيوة.
أنا كنت هتجنن برضه، صحيت مش عارف دي من إيه، وبتوجعني فشخ.

بس معتقدش إن السيجارة دي هي اللي عملت فينا كده، أنا شربت استروكس كتير ومكنش بيحصلى حاجة خالص.
بس أنا عمري ما شربته، ومتأكد إن هو السبب.
يا ابني ما ناس كتير بتشرب استروكس ومبيحصلهمش أي حاجة من دي.
طب بقولك ايه، كلم سعيد وأحمد، ما هما شربوا معانا، هما فين؟
وأنا مستنيك تقولي؟ سعيد موبايله مقفول، وأحمد مبيردش عليا بقاله يومين.
تعرف بيتهم طيب؟
عارف بيت سعيد بس.

الفصل الخامس

عابدين، منطقة منزل سعيد.
الثانية عشر ظهرًا.

تقف سيارة هشام أمام إحدى العمارات، فيما يترجل عمرو من السيارة، ويتبعه هشام، ويتوجها إلى داخل العمارة ليستقلا الأسانسير، تسود لحظات الصمت حتى يقف المصعد في الدور العاشر، يخرج عمرو أولًا خلفه هشام، يرن عمرو جرس شقة سعيد ولا إجابة.
رن تاني يا عمرو.
منا عمال أرن أهو.
طب خبط جامد، ممكن يبقى نايم أو حاجه إحنا لسه الضهر.

يطرق عمرو بيده على الباب مرارًا وتكرارًا ولا إجابة أيضًا، يخرج هشام محفظته من جيبه، ثم يخرج منها بطاقة الرقم القومي الخاصة به.
إوعي كده.

هتعمل إيه؟
هفتح الباب.
بالبطاقة؟
أيوة.
هو باب الكونجرس يا هشام؟ دا باب شقة معفنة في عابدين .
اوعي بس إوعي.
يضع هشام البطاقة في الفراغ بين كالون الباب ويحاول إزاحة لسان الكالون الذي يغلق الباب، ويحاول جاهدًا فتحه دون جدوى.
أنت بتعمل إيه يا هشام؟
كنت شوفتها في فيلم، المفروض أي حاجة رفيعة كده أدخلها وأزق بيها اللسان لجوه فالباب يفتح.
كنا كلنا سرقنا بعض يا هشام، إيه السهولة دي؟!
والله ساعات بتحصل.
يقطع حديثهم صوت فتح الباب ببطء، ينظرا إلى الباب فلا يجدا أحد.
سعيد؟ سعيد!

يدفع عمرو الباب برفق فيفتح على مصراعيه، يدخل ببطء إلى الشقة ولكن لا يوجد أحد يستمر في النداء.
سعيد، يا سعيد.
يدخلا إلى الشقة، ويبحثا في صالة المنزل فلا يجدا أحد، يدخل عمرو إلى إحدى الغرف فيما يدخل هشام إلى غرفة أخرى، يحس ببعض الغرابة، يوجد العديد من ورق الملاحظات الأصفر الصغير معلق في كل أرجاء الغرفة، على الحوائط وعلى المرآة وعلى سقف الغرفة، وكلمة واحدة مكتوبة على كل الورق: "أنا خايف"، يسمع هشام صوت صراخ عمرو من الغرفة الأخرى، يجري هشام باتجاهه، فيجده واقفًا مصدومًا واضعًا يده على فمه وينظر لسقف الغرفة، صوت غريب يأتي من داخل الغرفة، يدخل هشام ويقف بجوار عمرو وينظر.

يجد سعيد معلقًا في مروحة سقف الغرفة بحبل شانقًا نفسه، يهتز ويتأرجح ببطء، عيناه جاحظتان وكأنه ينظر إليهما في غضب، يضع هشام يده على رأسه ويجلس القرفصاء في

الأرض.

***

منزل سعيد، منطقة عابدين.
الواحدة ظهرًا.

تملأ الشرطة الشقة، ويقوموا بإنزال سعيد وفكه من المروحة، وجمع بعض الأدلة من المكان، فيما يجلس هشام وعمرو في صالة المنزل ومعهم أحد ضباط الشرطة.
حالة انتحار واضحة، مفيش أي حاجة مسروقة من الشقة، موبايله ولابتوبه والفلوس زي ما هما، مفيش أي آثار عنف، الورق الأصفر والملاحظات اللي متعلقة في كل حتة بتدل إنه كان خايف من حاجة أو مكتئب أو بيعاني من حاجة، معندكوش أي فكرة عن اللي حصله؟
يا فندم إحنا كنا جايين نزوره عادي عشان مختفي بقاله فترة ومكناش عارفين عنه حاجة.
آخر مرة شوفتوه كان إمتى؟
من أسبوع تقريبًا.
ينظر هشام إلى عمرو في غرابة، لا يدري لماذا يكذب ولكنه في نفس الوقت لا يتكلم ولا يأخذ أي فعل.

كان في أي مشاكل عنده ساعتها، كلم أي حد فيكوا في حاجة؟
لا لا خالص، كنا قاعدين على قهوة عادي وبنتكلم ونهزر مكنش في حاجة.
مكنش ليه أي مشاكل شخصية مع حد، مشاكل عاطفية؟
والله يا فندم إحنا منعرفش عن حياته الشخصية كتير، عادي احنا صحاب قاعدة ضحك وهزار وكده.
عموما إحنا اتصلنا بأهله وبلغناهم وهما في الطريق دلوقتي .
طب إيه اللي هيتم دلوقتي، يعني الدفنة والحاجات دي؟
الجثة لازم تتشرح ويتعمل تقرير من الطب الشرعي، وبعدها بيطلع تصريح الدفن وبس كده.
طيب إحنا ممكن نمشي ولا محتاجينا في حاجة؟
حضراتكوا هتتفضلوا معانا على القسم هناخد أقوالكوا ونقفل المحضر، وتقدروا بعدها تتفضلوا.

***

منزل هشام – النزهة.
السابعة والنصف مساءً.

يصل هشام إلى منزله، يدخل ليرمي بمفاتيحه على المنضدة أمامه، ثم يجلس ويغمض عينيه ويرجع رأسه للخلف، يتأفف هشام ويخرج زفيره بقوة، يمسح بيده على خصلات شعره، وينظر في الجوار:
عليا؟ عليا؟!
لا تجيبه فيدرك أنها ليست في المنزل، يخرج هاتفه ويقوم بالاتصال بها:
إنتي فين؟ آه وصلت من شوية، طيب متتأخريش بس، لا مكلتش لما تيجي بس نبقى نشوف.
ينهي هشام المكالمة ويرمي هاتفه أمامه، ويجلس صامتًا مفكرًا فيما يحدث، وفجأة يشعر بوجود شيء ما في المنزل، يرى خيالًا يجري باتجاه غرفة نومه، يقف هشام من مكانه، ويسير ببطء في طرقة المنزل باتجاه غرفة نومه:
عليا؟؟

عليا؟
بقولك إيه، مش طالبة شغل أطفال أنا مش ناقص؟
لا يجيب أحد، فيما يستمر هشام بالاقتراب ببطء من الغرفة، يمسك هشام بعصا مقشة كانت موضوعة في الطرقة، ويكمل تقدمه ببطء، يتصبب عرقًا وتتعالى أصوات أنفاسه وخوفه، يصل إلى الغرفة ويقوم بفتح النور، ينظر داخلها فلا يجد أحد.

يشعر بمرور شيء من خلفه يتجه إلى صالة المنزل، يلتفت بسرعة ولا يرى شيء، يسير بخطوات ثابتة وغضب هذه المرة إلى صالة المنزل، ولا يجد شيئًا أيضًا، يبحث في كل أرجاء المنزل ولا يجد أحد، يضع تلك العصا الصغيرة التي لا يدري لما حتى يحتمي بها، لا يدري ما هذا الهراء الذي يفعله، حتى وإن كان هناك لص أو شيء ما في المنزل، فلا أعتقد أن تلك العصا الساذجة ستساعده في شيء.

يدرك هشام حماقة ما يفعله، ويتأكد أن علقه قد بدأ في خداعه وتصوير الأوهام له، متعب ذهنيًا وبدنيًا، يمر بأيام

سيئة على جميع النواحي، يدخل إلى حمامه ويفتح صنبور المياه ليملأ البانيو، يرغب بالاسترخاء قليلًا، يرغب في سماع بعض الموسيقى الهادئة أثناء نقع جسده في المياه، ومحاولة الوصول للنقاء الذهني ولو قليلًا.

قام بتحضير حمامه، ووضع جسده داخل البانيو، ثم قام بتشغيل تراك الموسيقى المحبب له"Enya – Only Time"، ثم وضع وسادة صغيرة خلف رأسه وقام بإسنادها عليها، أشعل سيجارة وأغلق عينيه، وأخذ يستمع في هدوء إلى جمال تلك الموسيقى، تدخل أنغامها إلى أذنه فيشعر بالنشوة، يدخل نيكوتين سيجارته إلى رئتيه فتزداد تلك النشوة، شعر بالكثير من الهدوء والراحة النفسية، ود أن يكمل ما تبقى له من عمر في هذا الوضع وهذه الحالة.

فجأة سمع صوت غريب خارج الحمام، نظر إلى باب الحمام الذي يبقيه دائمًا مفتوحًا، يسمع الصوت يقترب منه، ببطء، صوت يشبه الفحيح، شعر هشام بالخوف ولكنه لا يقدر على تحريك أي شيء من جسده من شدة الخوف، يقترب

الصوت بشدة، جحظت عين هشام، ثم فجأة ظهرت أفعى ضخمة تزحف ووقفت أمام الحمام، ومن ثم نظرت إلى عين هشام، أحس هشام برعشة شديدة في جسده، الصدمة جعلته غير قادر حتى على النهوض من مكانه، الأفاعي والثعابين هي أكثر ما يخشاه هشام في الحياة فلديه فوبيا تجاههم، توجهت الأفعى ببطء مطلقة فحيحها، تخرج لسانها أثناء اقترابها من هشام، ينظر هشام إلى عينها التي تنظر له في غضب شديد، وفجأة ارتفعت رأسها للأعلى وقامت بنفخ رأسها، أدرك هشام أنها أفعى كوبرا، فهو يملك معلومات كثيرة عن الأفاعي وقرأ عنهم كثيرًا، ظلت الكوبرا رافعة رأسها هكذا لمده ٥ ثواني، مروا كأنهم خمس سنوات على هشام، الذي لا يفعل أي شيء سوى النظر إليها، وفجأة انطلق رأسها الضخم تجاه وجه هشام وقامت بلدغه، صرخ هشام بشدة وانتفض جسده.

يمسك هشام بوجهه وهو يصرخ ويحاول الإمساك بالأفعى وإزالة أنيابها المغروزة داخل وجهه ولكن!

لا توجد أفعى، لا يوجد شيء على وجهه، يجد نفسه يمسك الهواء ويصرخ، يشعر بأيدي تلتف حوله وتمسكه، يكمل صراخه وهو مغمض عينيه وينتفض بشدة، يسمع صوت ينادي:

هشام، هشام مالك؟

يفتح عينيه، وينظر حوله، ليجد نفسه على سريره وتقى بجواره!!

تحاول الإمساك به وتهدئته، فهو يبدو لها أنه كان يعاني من كابوسًا مزعجًا، نظر لها هشام نظرات دهشة ولا يتحدث، فيما تحاول تقى أن تهدئ من روعه، وتطبطب على صدره: متخافش، متخافش، مفيش حاجة، دا كابوس، إهدي، إهدي يا هشام!

ينظر لها هشام دون كلام، ينهض من على السرير في غضب، يرتدي ملابسه دون حتى أن يقوم بغسل وجهه، يخرج هشام من باب غرفته أثناء استكماله لارتداء سترته ويستعد في المغادرة في سرعة، فيما تجري تقى خلفه تحاول أن تفهم ما يجري:

هشام؟ طب رايح فين قولي طيب؟ هشام؟
يغلق هشام باب المنزل خلفه ولا يرد عليها.

الفصل السادس

كباريه سيزار – مصر الجديدة.

ينزل هشام من سيارته أمام الكباريه، يجد المكان مغلق، يتوجه إلى أحد البوابين الجالسين أمام إحدى العمارات المجاورة للكباريه.
هو الكباريه ده بيفتح إمتي؟
ينظر له البواب نظرات احتقار:
مش دلوقتي يا حضرت، إحنا لسه على الصبح، وحد الله كده وشوف مصلحتك.
يتركه هشام ويذهب إلى سيارته، فلا وقت ولا مجال لديه ليدخل في مثل هذا النقاش، ينطلق بسيارته ولا يدري أين يذهب، لا يفعل شيء سوى القيادة والتفكير، وجد نفسه بالقرب من منطقة وسط البلد، ففكر في المرور على دكتور كمال خيري.

توجه بالفعل إلى مكتبة دكتور كمال، دخل إلى المكتبة، ونظر إلى المكتب فلم يجد دكتور كمال جالسًا مكانه كما اعتاده.

دكتور كمال؟ يا دكتور؟
أتي الصوت من داخل أعماق المكتبة:
مين؟
أنت فين؟ أنا هشام.
توجه هشام إلى مصدر الصوت، ودخل إلى أعماق الرفوف العتيقة الموضوعة عليها الكتب، فوجد دكتور كمال متسلقًا سلمًا صغيرًا ويضع بعض الكتب في أماكنها.
بتعمل إيه؟
نزل دكتور كمال من على السلم، والتفت إلى هشام ونظر له قائلًا:
ولا حاجة يا سيدي، كنت برتب شوية الكتب دول.
نظر له هشام نظرات غرابة شديدة، هذا ليس دكتور كمال، الشكل متغير، الملامح متغيرة، الصوت أيضًا متغير.
أنت مين؟
أمسك دكتور كمال بقماشة بالية موضوعة أمامه على الرف ومسح بها يده من التراب أثناء رده على هشام:
أنا دكتور كمال يا هشام، مالك؟
نظر له هشام باستغراب وتمعن في تفاصيل وجهه:

دكتور كمال مين؟ أنت مش دكتور كمال!
ابتسم دكتور كمال ابتسامه هادئة ورد:
في إيه يا هشام مالك؟ أنا دكتور كمال، أنت كويس؟
اعتلت نظرات الاندهاش وجه هشام، فقام بالانسحاب للخلف ببطء، يتوجه نحو الخارج وهو يهرش فروة رأسه، يلتفت أثناء خروجه وينظر للخلف لهذا الشخص الذي لا يعرفه ويدعي أنه دكتور كمال فيجده يبتسم له نفس الابتسامة الصفراء، فيعاود النظر أمامه ليخرج خارج المكتبة، ويتجه نحو سيارته وينطلق بها مرة أخرى.

يتوقف على كوبري قصر النيل، ركن سيارته في جانب الكوبري وقام بتشغيل زر الانتظار في السيارة، أسند رأسه على مسند كرسيه وأغمض عينيه وأخذ في التفكير.

فتح هشام عينه ونظر إلى جواره ليجد بعض العشاق الواقفين أعلى الكوبري يتأملون منظر المياه الرومانسي هذا، فترجل من سيارته، ثم وقف ونظر إلى مياه النيل، ثم بدأ في التحدث إلى نفسه:

طب أعمل إيه؟ أعمل إيه؟ ولا بقيت عارف أنا بحلم ولا مجنون ولا بهلوس، ولا بقيت فاهم حاجة، تقى شوية، وعليا شوية، ودكتور كمال اسمه دكتور كمال، بس شكله مش دكتور كمال، طب أقول لمين؟ أروح لمين أنا ولا أحكي لمين؟

تأفف هشام وأخفض رأسه ونظر إلى المياه، ثم أمسك رأسه بكلتا يديه وضغط عليها بقوة، كما لو كان يريد أن يحطمها من كثرة التفكير، هدأ قليلًا وتمعن في مياه النيل، أخذ ينظر إلى تلك المياه بعمق، أحس بهدوء غريب، سمع أصوات المياه تدخل إلى رأسه، شعر ببعض الدوار، فهو لديه فوبيا أيضًا من الأماكن المرتفعة، أحس وكأنه سيسقط من أعلى الكوبري، أخذ يتمايل، شعر وكأن المياه تقترب منه، يفقد اتزانه، يحاول التمسك في سور الكوبري الحديدي الذي يمنعه من السقوط، لكن اختل توازنه، وسقط.

أثناء سقوطه، أحس الهواء يضرب وجهه بقوة، شعر وكأن قلبه سيتوقف من شده الخفقان قبل حتى وصوله إلى المياه، هشام لا يخشى المياه فهو سباح جيد، لكن السقوط في حد

ذاته كافي لقتله، شعر وكأنه يسقط منذ ألف سنة، يخفق قلبه بسرعة، إلى أن ارتطم بالمياه وغاص في أعماقها، شعر وكأن المياه تخنقه وتلتف حول رقبته ورئتيه، يحاول الصراخ لكن المياه تدخل إلى جوفه ولا يخرج صوت، أراد هشام الاستسلام إلى الموت، فأغلق عينيه وبقي ساكنًا ينتظر أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، لعل هذه تكون نهاية لتلك الحياة المأساوية التي يعيشها، ولكن في لحظات الصمت تلك كان هناك صوت ينادي عليه، صوت ينادي: "هشام، هشام!"، فتح هشام عينيه وحاول استجماع قواه والخروج إلى سطح الماء، جاهد وأخذ يضرب المياه بيده بقوة مرتفعًا إلى الأعلى، حتى استطاع رؤية النور يقترب من وجهه، أخرج رأسه من المياه وأخذ يلتقط أنفاسه بسرعة ورهبة، ولكن!

وجد هشام نفسه في حمام منزله، ما زال في البانيو ما زال تراك Enya – Only Time يعمل، يبدو أنه غلبه النوم وسقطت رأسه داخل مياه البانيو، نظر حوله وهو يلتقط أنفاسه، وإدراك ما يحدث، فقاطعه صوت علياء:
هشام؟

لم يرد واكتفى بالنظر فقط إلى باب الحمام، وهو يسمع صوت أقدامها آتية في اتجاهه، وقفت علياء أمام الحمام ونظرت له:
بنادي عليك من ساعتها مبتردش ليه؟

نظر لها هشام لثوانٍ دون رد، ثم أراد ألا تشعر علياء أنه يعاني من شيء، فيكفي ما حدث في الصباح:
معلش مكنتش سامعك عشان الموسيقى بس اللي شغالة.

نظرت له علياء وعلي وجهها ابتسامة من منظره المضحك بالنسبة لها، فرأسه مبتل وشعره ينزل على عينه وكأنه طفل في ابتدائي يلعب بمياه البانيو.
وإيه اللي أنت عاملة ده؟ بتلعب في المايه؟

ابتسم لها هشام مرددًا:
لا عادي، كنت قاعد فاضي فقولت أقوم آخد غطس كده.

رفعت علياء حاجبها له، وما زالت تلك الابتسامة تعتلي

وجهها:
طب بطل لعب بقي، وقوم إلبس كده على ما أحضر الغدا، أنا جبت أكل وأنا جاية.
هز لها هشام رأسه:
ماشي يا حبيبتي، روحي إنتي يالا وانا هقوم ألبس، عشان مش هينفع أقوم كده وانتي واقفة.
دا على أساس إني هشوف حاجة مشوفتهاش قبل كده يعني؟
ثم أطلقت ضحكة رقيعة عالية وغادرت باتجاه المطبخ، فيما رد هشام مازحًا بصوت منخفض:
إيه قلة الأدب دي؟

الفصل السابع

على مائدة الطعام في صالة منزله، يجلس هشام ليتناول غداءه مع علياء، تسرح عيناه بعيدًا أثناء تناوله الطعام، فيما تنظر له علياء مستغربة من حاله المتقلب رأسًا على عقب، هي لم تعرفه منذ الكثير، فقط ستة أشهر، لكنها كانت كافية بالنسبة لها لجعلها تحبه وتفهمه كثيرًا، رغم كونه يحسن معاملتها كثيرًا وودود ويتمتع بخفة ظل كبيرة، إلا أنه أحيانًا ما يصاب بحالة من الهياج العصبي، قد لا تكون أخطأت في شيء كبير يستدعي كل العصبية التي يطلقها عليها، لكنها تعايشت مع الأمر، وفهمت أنها تكون مجرد غضبة غير طبيعية وخروج عن المألوف لدى هشام، وسرعان ما يعود مرة أخرى إلى حالة الهدوء والطيبة كما كان.

هو لا يتحدث كثيرًا معها عن حياته السابقة، هو يكره الأسئلة، دائمًا ما يقول لها أن حياتهما سويًا لا بد أن تكون في موضعها، بمعنى أن لا دراما ولا نكد ولا تحكم في الأفعال في علاقتهما، فقط تمضية وقت سعيد سويًا ومشاركة الحياة وتهوينها على بعضهما، هي تدرك أنها بالنسبة له لا تتعدى

كونها علاقة وقتية ستنتهي يومًا ما وسيتركها أو تتركه عندما تتأزم الأمور بينهما، لكنها متقبلة ذلك وحاولت كثيرًا أن لا تثير مشاكل أو تحسسه أنها عقبة في حياته.

تود كثيرًا أن تسأله عما جعله متغيرًا كثيرًا هذه الأيام، لكنها أيضًا لا تريد أن تضغط عليه في شيء، هو لا يحب الحديث كثيرًا معها في أمور جدية، لذلك بدلًا من أن تسأله: "ما بك؟"، قررت السؤال عن شيء آخر:

إيه رأيك في الأكل؟

نظر لها هشام وابتسم ابتسامة خفيفة قائلًا:

دا على إساس إن إنتي اللي طبخاه يعني؟

ضحكت علياء وردت:

لا، بس أنا اللي إخترت المطعم اللي هجيب منه، وجيت حطيت الأكل في أطباق ورتبت السفرة.

رد مازحًا:

لا صح عندك حق، الأكل حلو فشخ، تسلم إيدك.

رن هاتفه أثناء حديثهما، نظر للهاتف ووجد عمرو صديقه يتصل به، أمسك بمنديل ومسح يده سريعًا، ثم أخذ الهاتف

ودخل إلى غرفة مكتبه ورد عليه:
هشام أنت فين؟
قالها عمرو وهو يلهث أنفاسه ويبدو على صوته الخوف الشديد.

أنا في البيت، في إيه؟
عايزك تجيلي البيت بسرعة يا هشام، بسرعة.
يا ابني في إيه قولي؟
سكت عمرو لبرهة، ثم رد بصوت خافت:
هشام أنا حاسس إن في حد في البيت، حاسس إن في حاجة، أنا خايف.
ظهرت ابتسامة خفيفة على وجه هشام، ورد:
لا متقلقش دا تعبان.
رد عمرو متعصبًا:
أنت بتهزر يا هشام، هو ده وقته، بقولك في حد في الشقة يا أخي.
تعصب هشام هو الآخر ورد صرخ فيه:
يا عمرو أنت عايزني أعملك إيه يعني مش فاهم، منا اللي

فيا أوسخ بكتير من اللي أنت فيه ومفيش حل ولا في طريقة تنهي الخرة ده، أقعد أعيط وأولول؟
لم يأتيه الرد، لكنه سمع صوت همسات في الهاتف:
عمرو؟
لا يوجد رد، وما زال صوت الهمس فقط.
عمرو رد، عمرو؟
فجأة سمع صوت صراخ، إنه صوت عمرو يصرخ وكأن أحدًا ما يصعقه بالكهرباء، استمر الصراخ لمدة ثوانٍ، يمسك بهاتفه الموضوع على أذنه ولا يدري ما يفعل سوى الإنصات لما يحدث، توقف الصراخ، واستمر بالنداء أملًا في سماع أي إجابة:
عمرو؟!، عمرو؟!
سمع صوت الهمس يعود مرة أخرى، لكن هذه المرة أحس وكأن أحدًا ما يتحدث إليه، حاول الإنصات أكثر وفهم ما يقال، صوت الهمس يتكرر، حتى سمعه هشام بوضوح:
أنت مش خايف؟

ثم سمع ضحكة عالية، ثم انتهت المكالمة!

خرج مسرعًا من الغرفة، وفتح باب الشقة ونزل مسرعًا نحو سيارته، استقلها وانطلق نحو منزل عمرو.

وصل إلى منزله فوجد باب المنزل مفتوحًا على مصراعيه، آثار لأقدام ممزوجة بالدماء على الأرض، وقف مرتعبًا ويتقدم بخطوات بطيئة إلى داخل الشقة، الدماء في كل مكان، على الحوائط وأثاث المنزل والمرايات، تبدو الشقة وكأنها مذبح لإحدى كنائس القرن السابع عشر، تتبع الدماء الموجودة على الأرض حتى وصل إلى حمام الشقة ونظر في داخلها ليجد عمرو صديقه ممدد في البانيو غارقًا في بحر من المياه الحمراء الممزوجة بدمائه، وقف مرتعبًا لا يدري ما يفعل، ثم باغته صوت غلق باب الشقة بقوة، ارتعب وخرج مهرولًا من الحمام ليجد أحمد صديقهما المفقود يقف أمامه تلطخ الدماء وجهه وملابسه، ممسكًا سكينًا في يده يتقطر منها الدماء، صعق هشام من حالة أحمد الغريبة، لم ير شرًا في عينيه مثل ما يراه حاليًا، يبدو وكأنه شخصٌ آخر، ينظر له نظرات كلها كراهية وغل، حاول فهم ما يجري.

أحمد؟
لا يجيبه ولكنه يستمر في النظر إليه، يحكم قبضته على السكين التي في يده وهو مستمر في النظر إلى هشام، ثم يبتسم ابتسامة غريبة:
أنت مش خايف؟
قالها بنفس الصوت الذي سمعه هشام في الهاتف، نفس صوت الهمس المريب.
أنت اللي عملت كده في عمرو؟
ابتسم نفس الابتسامة المريبة مرة أخرى، ثم هز رأسه بالنفي:
تؤ تؤ، مش أنا، أنت اللي عملت كده فيه.
ثم تقدم نحوه بخطوات ثابتة، ورفع سكينه في وجهه وحاول طعنه إلا أن هشام قام بالابتعاد للخلف قليلًا متفاديًا تلك الطعنة، وهو يصيح في وجهه:
أنت مجنون يا ابني، أنت مجنون؟
استكمل أحمد محاولاته لطعن هشام، وتقدم نحوه مرة أخرى غير مكترث بصراخه وما يقوله، يستمر هشام في الرجوع للخلف وتفادي الطعنات، حتى تعثرت قدماه

وسقط على الأرض، تقدم أحمد نحوه، فيما قام هو بالزحف للخلف راجيًا هذا الإنسان الغريب الذي لا يعرفه، لا يدري حتى لما يحاول قتله وما السبب في كل ذلك، كانا صدقين ولم يكن أحمد يومًا بتلك السادية والرغبة في القتل:

أحمد فوق يا أحمد، فوق يا أحمد أنا هشام صاحبك.

قالها وهو يزحف ببطء إلى الخلف رافعًا يده راجيًا، لكن أحمد لم يكترث بما يقول، رد بنفس الصوت المريب الخافت الذي يهمس به:

متترجانيش، متبقاش زي عمرو بقي، أنا مبحبش الاستسلام ده، عارف عمرو لو كان دافع عن نفسه وحاول يقتلني زي ما أنا كنت عايز أقتله؟ مكنتش عملت فيه كل ده.

يشير أحمد بيده إلى كل الدماء المتناثرة على الحوائط والأرض، ويستطرد كلامه:

عارف كنت هقتله زي مين؟ زي سعيد كده، موته سريعة ومش مؤلمة، عشان سعيد كان بيدافع عن نفسه، مترجانيش ومخافش مني زي ما عمرو عمل كده.

استغل هشام تلك اللحظات التي يتحدث فيها أحمد بسيكوباتية غير عادية، وأدرك على الفور أن لا سبيل للنجاة

مما هو فيه الآن سوى بقتله، تعمد التباطؤ في الزحف إلى الخلف حتى يقترب أحمد منه بالقدر الكافي ليضربه هشام بقدمه ضربة جعلته يفقد توازنه ويسقط على الأرض بقوة وتسقط السكين من يده وتقذف بعيدًا عنهما، ينهض هشام سريعًا ويحاول الوصول إلى السكين، لكن يد أحمد تمسك بقدمه وتسقطه على الأرض مرة أخرى، تعتلي نظرات الرعب وجه هشام، بينما أحمد ما تزال تلك الابتسامة المريبة والسيكوباتية تعتلي وجهه.

ضربه أحمد بقدمه وهو ممد على بطنه ويحاول الوصول إلى السكين، فيما يحاول أحمد سحبه وإبعاده عنها، ولكن استمر هشام بالركل بقدمه في وجه أحمد حتى استطاع الوصول إلى السكين، ومن ثم انقلب على ظهره ليحاول ردعه، لكن أحمد لم يعطه الفرصة وانقض عليه وأمسك السكين من يده بينما هشام كان يوجهها إلى صدر أحمد، الغريب أن أحمد لم يحاول حتى إبعاد السكين عن صدره، لكنه كان ينظر إلى عين هشام الذي يجاهد محاولًا إنقاذ حياته وما زالت تلك الابتسامة الغريبة تعلو وجهه، ثم تحدث إلى هشام بنبرة

صوته الهادئة:

هوشش، هوششش، اقتلني.

نظر هشام له باستغراب، فيما شعر ببعض الاستسلام في قبضة أحمد على يده التي تحمل السكين، بدأ ترتخي يده عن قصد، فيما اقتربت السكين أكثر وأكثر من صدر أحمد، حتى اجتازت ملابسه وبدأت في الدخول في صدره، نظرات الغرابة والاندهاش على وجه هشام لا تنقطع، بينما تدخل السكين وتغوص في أعماق صدر أحمد وما زالت الابتسامة لا تفارقه، حتى ملأت الدماء فمه وبدأت تتساقط على وجه هشام الذي حاول إزاحة وجهه بعيدًا عن تلك الدماء المتساقطة عليه، حتى انقطعت أصوات أنفاس أحمد وانتهت تلك الابتسامة التي كانت تثير الخوف في نفسه فأزاحه بعيدًا عنه، وجلس في ركن الغرفة يلتقط أنفاسه بينما ينظر إلى عيني جثة صديقة الممدة أمامه، يود أن يصحو مما هو فيه، يرغب بشدة أن يكون ما يحدث له الآن هو هلوسة جديدة كالتي تصيبه مرارًا وتكرارًا تلك الأيام.

أخذ يضرب رأسه في الحائط دون جدوى، لا يصدق أنه الآن

يجلس في شقة بها جثتين من أعز وأقرب أصدقائه، لم يهديه تفكيره سوى للقيام والهرب، نزل إلى الشارع وظل يركض كطفل يحاول الهرب من أحد الكلاب الضالة التي تطارده، يصطدم بالمارة في الطريق وبأعمدة النور وتتعثر خطواته ويسقط ويعاود الوقوف والركض مرة أخرى، حتى أصبح لا يستطيع تحريك عضلة واحدة من عضلات ساقه، أجبرته طاقته التي انتهت على المكوث مكانه والجلوس على إحدى المحطات المخصصة للأوتوبيسات ساندًا رأسه على الخرسانة التي تطوق تلك المحطة الصغيرة، أغمض عينيه وأخذ يلهث ويتنفس بسرعة كبيرة.

بعد أن هدأ قليلًا أشعل سيجارة وهداه تفكيره إلى تسليم نفسه في أقرب قسم للبوليس، لا جدوى من الهرب ولا مجال أيضًا، كاميرات المراقبة بالتأكيد قد صورته أثناء نزوله وصعوده وقت حدوث الجريمة، بصماته على السكين المستقر في صدر صديقه، وإن لم يفعل ذلك، بالتأكيد سيكون هو قاتل عمرو أيضًا، إذًا لا بد من تسليم نفسه والاعتراف أنه كان في حالة دفاع عن النفس ليس إلا، فالمواجهة الآن أفضل

كثيرًا من الهرب.

الفصل الثامن

شقة عمرو.

يدخل بعض من عساكر الشرطة إلى شقة عمرو التي وجدوا بابها مفتوحًا، يدخل الضابط خلفهم ويتبعه هشام، ينظر على الحوائط والأرضيات ولا يجد آثار دماء، ينظر له الضابط متسائلًا:

فين الجثث يا أستاذ هشام؟

يسير هشام مبتعدًا عنهم ينظر بتمعن إلى الحوائط وسيراميك الشقة الذي كان مملوءً بالدماء قبل ساعتين تقريبًا، ولكن لا يوجد شيء، ركض إلى الحمام ونظر إلى البانيو ولكن لا يوجد جثة ولا دماء ولا حتى مياه داخل البانيو، الشقة وكأنها مهجورة منذ فترة طويلة، دخل ونظر إلى غرفة النوم التي كان يصارع أحمد فيها منذ قليل وترك جثته وهرب، ولكن لا توجد جثة أيضًا، رجال الشرطة يتبعوه وينظرون ولا يجدوا شيئًا، فيما يقترب ضابط الشرطة من هشام ويعنفه:

فين يا أستاذ هشام الجثث؟

ينظر يمينًا ويسارًا ولا يدري ما يقول:

والله ما فندم ما أعرف، جثة عمرو كانت في البانيو، وجثة أحمد كانت هنا مكان ما احنا واقفين!

ينظر ضابط الشرطة بدقة إلى عين هشام:

أنت شارب حاجة؟

رد هشام تلقائيًا:

استروكس.

وضع الضابط يده في وسطه:

نعم؟

يصحح هشام ما قاله سريعًا:

أنا آسف جدًا يا فندم والله، بس أنا بمر بفترة صعبة جدًا عليا والله ومش فاهم أي حاجة.

يضع الضابط مسدسه في حافظته ثم يشير إلى العساكر ليغادروا الشقة ويضع يده على كتف هشام ويسير به إلى الخارج.

بص يا أستاذ هشام، أنا في الظروف الطبيعية كان زماني عاملك محضر بلاغ كاذب وإزعاج سلطات قريب، بس عشان أنا عارفك من زمان وعارف إنك إنسان محترم وملكش في الشغل ده، هعديها لك المرادي، بس يا ريت، يا ريت،

ترجع تشوف دكتورتك النفسية تاني، لأن واضح إنك رجعت تهلوس زي الأول.

دكتورتي النفسية؟!
قالها هشام مستغربًا من حديث الضابط معه، هو لا يعرفه من قبل، تلك هي المرة الأولى التي يراه فيها، لكنه يتحدث وكأنه يعرفه ويعرف عنه الكثير، استوقفه قبل مغادرته:
أنت تعرفني يا فندم؟!
توقف الضابط مكانه، ثم عاد إليه مرة أخرى:
أيوة أعرفك يا هشام، أعرفك، أقولك أعرف ايه كمان؟! أعرف تقى، تقى اللي جيت عملت محضر عن اختفائها وفضلنا ندور عليها شهرين وبنحاول نساعدك بسبب حالتك اللي كنت فيها.
أمسك هشام رأسه، ثم حاول استجماع أي حديث، يريد تفسيرات لما يسمعه:
بس أنا، أنا مش فاكرك خالص، ولا فاكر أي حاجة من اللي بتقولها.
روح شوف دكتورتك يا هشام، روح شوفها وتابع معاها تاني.

قال الضابط هذا الكلام ثم غادر خلف عساكره، فيما وقف هشام مندهشًا من حديثه، هو لا يعرفه مسبقًا وتلك هي المرة الأولى التي يراه فيها، كيف يعرف كل تلك المعلومات عنه وأنه كان يعالج نفسيًا من قبل؟!

***

مدينة نصر.
عيادة دكتورة رنا شراقي، طبيبة النفسية والعصبية.

ينام هشام على الشيزلونج محدقًا إلى سقف الغرفة، تجلس دكتورة رنا على كرسي بجواره ممسكة بورقة تدون فيها ملاحظاتها التي يبدو أنها كانت تدونها منذ فترة حتى أنهى هشام حديثه عما يحدث له، يبدو على وجهها العبث مما تسمعه، تتحدث إليه في نبرة عاتبة:
هشام؟!، إحنا كنا اتقدمنا كتير، كتير أوي، اللي بتحكيه دلوقتي ده معناه إننا رجعنا أسوأ من الأول بمراحل.
أغمض هشام عينيه متحدثًا إليها:
أنا مبقتش قادر أفهم أي حاجة، مبقتش عارف حتى أنا فين، تفتكري سيجارة مخدر مهما كانت، تعمل فيا كل ده؟ تقلب حياتي بالشكل ده؟
ردت دكتورة رنا وهي تنفخ ويبدو على وجهها الضيق الشديد:
لا يا هشام، لا، مش سيجارة اللي تعمل فيك كل ده، أنت

اللي عايز تبقى كده، أنت اللي عايز تشوفها وعايز تعيش معاها، عقلك الباطن لسه مش قادر يتخلص منها.
رد هشام بنبرة حزينة:
صدقيني يا دكتورة هي الوحيدة في كل اللي بيحصلى ده اللي حقيقة، كلامها حقيقة وإحساسي بيها حقيقة، عارفة؟
يعتدل هشام في نومته، ويجلس على طرف الشيزلونج وهو ينظر إليها:
على قد ما أنا تعبان وعلى قد ما أنا في مشاكل في حياتي أكبر من أي وقت قبل كده؟! إلا إنها هي الحاجة الوحيدة الحلوة في الموضوع ده كله، فكرت أشرب تاني الزفت ده عشان بس أشوفها وأبقى معاها تاني.
ما زالت نظرتها لا تتغير، لا تبدو سعيدة مما تسمعه، نهضت من على كرسيها وتوجهت إلى المكتب فيما يبدو عليها التردد حيال شيء ما، جلست ثم نظرت إلى هشام نظرة مطولة، تمسك قلمها وتعبث به في ورقة موضوعة أمامها، مترددة فيما ستقول، يبدو أنها لا ترغب في قول شيء لكنها لا تجد سبيل سوى ذلك.

هشام أنت بتتعالج عندي من إمتي؟
رد هشام متعجبا من سؤالها:
سنتين.
نظرت رنا بعيدًا وصمتت لبرهة ثم عاودت النظر إليه مرة أخرى:
أنت بتتعالج عندي من ٥ سنين يا هشام.
نظر هشام متعجبًا مما تقوله، أشار لها بيده متسائلًا عما تقوله متعثراً في حديثه:
خمس سنين ازاي يعني؟ أنا، أنا، أنا...
قاطعته رنا غاضبة:
أنت جيت تتعالج عندي بسبب إيه؟
ما زال هشام تائهًا غير مدرك لما تقول:
عادي، لما تقى اختفت بعد ما اتخانقنا أنا وهي، بس، ونفسيتي كانت تعبت.
صمتت رنا قليلًا أيضًا، ورفعت شعرها من على عينها، ونظرت إليه:
عارف إن أكتر حاجة صعبة على الطبيب النفسي، إنه يشوف الحالة بتاعته بتنتكس كده! بيحس إنه فشل في علاجها،

بيحس إنه حاول يعالج جزء في نفسية الحالة، فباقي النفسية ضربت، يحس إنه رجع للصفر، تحت الصفر كمان.
رد هشام غاضبًا:
يا دكتورة أنا عايز أفهم في ايه، أنا مالي؟ ايه اللي فيا؟ أنا مكنتش كده، ولا كنت بهلوس ولا كان بيحصلى أي حاجة من دي.
ردت رنا في غضب أيضًا:
لا كنت بتهلوس يا هشام، كنت بتهلوس.
ما زالت نبرة صوته تعلو وغضبه يزداد:
لا مكنتش بهلوس.
أرادت رنا أن تنهي هذا الجدال، أدركت أن صدمة المريض بالحقائق أحيانًا ما تؤتي بنتائج إيجابية.
تقى ماتت يا هشام.
ملأت معالم الصدمة وجه هشام، بلع لعابه، أخذ يحرك يديه ورأسه في تساؤل، يحاول فهم وإدراك ما يقال:
تقى؟! تقى مين اللي ماتت؟! تقى زعلنا من بعض و، وهربت، اختفت، أنا، أنا اللي...
يريح هشام جسده مرة أخرى على الشيزلونج، ويضع يده

على رأسه:
أنا اللي كنت زعلتها، خنتها وهي اكتشفت، واتخانقنا مع بعض، تقى ما ماتتش.
أكملت رنا صدمتها له وأدركت أنها بالفعل ستؤتي ثمارها:
أنت عمرك ما خنت تقى، عمرك ما اتخانقت معاها، تقى ماتت وهي بتولد، وهي بتولد بنتك اللي بتقول إنك بتشوفها دلوقتي وبتتكلم معاها.
نظر هشام إلى عين طبيبته وعلى وجهه علامات الصدمة:
إنتي كدابة!
نظرت رنا له قليلًا، ثم فتحت جهاز الحاسوب الموضوع أمامها على المكتب، وقامت بتشغيل تسجيل صوتي، يتحدث هشام فيه بنبرة ألم ممزوجة بالبكاء:
إحنا مكنش لينا في الدنيا غير بعض، كنت مكتفي بيها ومكتفية بيا، وقفنا قدام أهلنا وقررنا ننعزل عنهم وعن الدنيا كلها، اختارنا بعض بس، ومختارناش حاجة تانية، كان كل تفكيرنا في إننا ازاي نبني أسرة صغيرة لينا إحنا الاتنين، أسرة تبقى عليتنا وحياتنا كلها، إنك تبقي واقف قدام أوضة عمليات، مستني الدكتور اللي هيطلع يديلك

بنتك، يديلك العنصر التالت في أسرتك الصغيرة اللي بدأت تكبر، وفجأة يقولك إن بنتك ومراتك ماتوا!!، ماتوا!!، ماتوا وسبوك لوحدك، أسرتك اللي كانت هتبقى تلاتة، في لحظة بقت واحد، واحد بس، سابوه ومشيوا.

سمع هشام هذا التسجيل الصوتي وأدرك على الفور أنه صوته، أخذ يتذكر ما حدث، تذكر غرفة العمليات، تذكر وجه الطبيب الذي أبلغه بفقدانه لأعز ما يملك، بل لكل ما يملك في الحياة، تذكر طبيبته التي تجلس أمامه الآن، أدرك أنها لم تكن كاذبة، تذكر بالفعل أنهما كانا ينويان تسمية طفلتهما الأولى "جنة"، تذكر كل المشاهد التي كان يعاني فيها من بعدها، تذكر محاولاته المتتالية للانتحار، قاطعت رنا أفكاره وصمته هذا:

هشام أنت لما جيتلي كنت تقريبًا بتنتهي، حاولت الانتحار كتير، كانت بتجيلك حالات هياج عصبي شديدة، مكنش في طريقة غير إني أعالج حالتك بإني أخليك تنسى، النسيان كان العلاج الوحيد ليك.

تذكر هشام حالات الهياج العصبي التي كانت تصيبه، تذكر نفسه وهي يكسر كل محتويات شقته، تذكر نفسه وهو

يجلس في كل زوايا منزله ويتذكر وجهها بعد أن فارقته، وقفت رنا وتوجهت إلى النافذة وأكملت حديثها:
مكنش قدامي غير إني أعالجك بكمية كبيرة من الأميتريبتلين والديازيبام!، ودي أدوية بتعالج الهياج والاكتئاب، كانت بتجيب نتيجة معاك وبتهديك.
تذكر هشام تلك الأسماء التي كانت توجد على علب الحبوب التي كان يتناولها فيما أكملت رنا حديثها:
المشكلة إن الأدوية دي كانت بتخلي مناطق معينة في الدماغ متقومش بشغلها، شغلها اللي هو تحويل الذاكرة القصيرة، لذاكرة طويلة، يعني مبتخليش الذاكرة المؤقتة تبقى دايمة، بتخليك تنسى.
تذكر هشام كل ما يسرد على أذنه، تذكر كل تلك التفاصيل والأيام الصعبة التي مر بها بعد أن فارقته تقى.

إبتديت تتحسن شوية، وإبتديت ترجع شغلك، وإبتديت أشوفك كويس، بعدها لقيتك بتحكي عن تقى كإنك أول مرة تحكي لى عنها، لقيتك بتقولي تفاصيل غريبة، إنك خنتها وإنها سابتك واختفت ومتعرفش هي فين، كنت محتارة،

مكنتش عارفة أصارحك بالحقيقة، ولا أسيبك معتقد إنها لسه عايشة بس مجرد في خناقة بينكوا وهترجع، كنت محتارة أعيشك على أمل مستحيل يحصل وده كان خيار صعب، ولا أواجهك بالحقيقة وحالتك تدهور زي الأول، وده كان الخيار الأصعب!

وضع هشام يده على رأسه وأخذ يفركها بيديه، وتحدث إليها بنبرة هادئة قليلًا يملؤها الكسرة:

أومال أنا بشوفها دلوقتي إزاي؟! ازاي بتكلم معاها وبعيش معاها؟! ازاي بشوف جنة بنتي كأنها حقيقة؟!

أجابته وهي تهز رأسها يمينًا ويسارًا:

أكيد هلاوس يا هشام، أنا جيت بعد فترة وقفت العلاج، وبدأت أديلك شوية منشطات للذاكرة ومقويات مش أكتر، علاج كمالي يعني بمعنى أصح، كانت حالتك اتحسنت ومفيش أي داعي لإني أكمل في الأميتريبتلين والديازيبام، لما جيتلى من ٣ أيام وقلت لي إنها بقت بتطاردك كتير في أحلامك، قررت أرجع علاجك تاني وقولت هتبقى فترة قصيرة وأوقفه مرة تانية.

تذكر هشام أنه بالفعل كان عندها منذ ثلاثة أيام، قبل أن

يقابل عمرو وأحمد وسعيد، نعم، كان خارجًا من عيادتها بالدور العاشر ويحمل ورقة بيضاء في يده عبارة عن روشتة تحوي هذا الدواء، تذكر جيدًا أنه نزل وقام بشراء الدواء وتناوله قبل مقابلته لأصدقائه مباشرة، تذكر كل شيء، لكنه حتى الآن لا يجد تفسير للكثير مما يحدث له، لكنه لم يتبق بداخله شيء من الطاقة أو القوة ليتحدث، لم يكن أمامه سوى أن وقف وسار بخطوات بطيئة متعثرة تجاه الباب مغادرًا العيادة، فيما وقفت رنا تنظر إليه نظرات أسى بينما هو يغادر.

***

منزل هشام.

يغلق هشام باب مكتبه عليه، بينما ينخرط في البحث على الإنترنت عن مخدر الإستروكس، يريد أن يعرف كل المعلومات عنه، يريد الوصول بنفسه إلى تفسير منطقي لكل ما يحدث له، كيف يرى تقى وهي متوفية، ليست المشكلة الآن في نسيانه لأحداث موتها، هناك تفسير لحالة النسيان المؤقت التي يعاني منها وهو الأدوية التي اعتاد تعاطيها في السنين الماضية، لكن ليس هناك تفسير واضح لرؤيتها والتعايش معها بشكل واقعي لا تشوبه أي هلاوس، فإن كانت الأدوية قد تسببت له بالنسيان، فبالتأكيد الإستروكس هو من تسبب له بالهذيان والهلاوس التي تصارع حياته هذه الأيام.

كل محركات البحث التي يتفحصها لا تفسر إطلاقًا أحواله، مقالات عديدة عن مكونات الإستروكس، وعن مسمياته المختلفة "الفودو – مهدئ التيران"، والعديد من المسميات الشعبية، تتحدث تلك المقالات عن بعض التأثيرات مثل اتساع حدقة العين أو احمرار الوجه، العرق الغزير وفقدان

التوازن والشهية، كل هذه الأشياء لا تفسر شيء، غير مكتوب هنا أن الإستروكس سيجعلك ترى أمواتًا، أي يجعلك ترى حياة أخرى غير التي تعيشها.

أدرك أنه بحاجة ماسة إلى المساعدة، يحتاج من يفكر معه بعقلية متفتحة غير روتينية، يستطيع تحليل الأمور تحليل منطقي ولا يردد الكليشيهات المعتادة التي يقرأها الآن في تلك المقالات، لا يعرف شخص بتلك المواصفات سوى دكتور كمال خيري، لكن آخر مرة قد زاره فيها، وجد شخص آخر لا يعرفه، لكن لا يبدو أن هناك حل آخر، جمع أشياءه واستعد للذهاب إليه، خرج من غرفته ليفاجأ بباب المنزل يفتح، ليرى تقى وجنة قد وصلتا إلى المنزل، نظرت له نظرتها الاعتيادية قائلة:

هشام؟!، رجعت إمتي ومكلمتنيش ليه لما رجعت؟!

نظر لها لثوانٍ، ثم تعمد تجاهلها ولم يرد عليها اعتقادًا منه أنها مجرد هلاوس وعليه التعامل معها من الآن، هي ميتة، وكل هذا من صنع عقله، لن ينصاع لهذا الخداع العقلي مرة أخرى، قام بالمرور من جوارها، وفتح باب المنزل وغادر بينما

ظلت تنادي عليه مستغربة مما يفعله لكن دون جدوى، فقد غادر بالفعل.

***

وسط البلد.

يسود الصمت بينهما، يجلسا على المكتب أمام بعضهما، لا ينظر له هشام وينخرط في شرب سيجارة نافخًا هوائها بعيدًا، بينما دكتور كمال يرمقه بالنظرات منتظرًا إياه أن يتكلم، في الواقع هشام لا يدري كيف يبدأ حديثه، هذا الشخص يؤكد له أنه دكتور كمال الذي اعتاد زيارته واعتاد مسامرته في العديد من الأحيان، لكنه يرى أمامه ملامح شخص آخر، لا يعرف من أين يبدأ وكيف يبدأ، وكيف يشرح له ما يعانيه، قاطع كمال لحظات الصمت تلك قائلًا:

متهيألي إن سكوتك ده مش هيحل مشكلتك اللي جايلي عشانها.

رفع هشام رأسه ونظر له:

وعرفت منين إني جايلك في مشكلة؟!

رد كمال ساخرًا:

أكيد ده مش شكل واحد مبسوط يعني ومعندوش مشاكل.

فرد يائسًا:

نفس الكلام، نفس الطريقة، بس مش أنت دكتور كمال اللي

أنا أعرفه، مش نفس الشكل، شكل مختلف تمامًا، وتقدر تعتبر إن دي مشكلتي.
صمت دكتور كمال قليلًا، هو اعتاد على هرطقة هشام في العديد من الأحيان، لكنه أيضًا عنده الملكة والقدرة على التعامل معه في جميع أحواله، رأى أن أي اعتراض على ما يقوله لن يقوده إلا إلى صمت جديد.
أكيد مشكلتك مش في شكلي يعني، أنا عارف إني مش وسيم أوي، بس أهي خلقة ربنا؟!
يا عم وهو أنا يعني محمد حماقي، مش بتكلم في كده خالص، بص، أنا بقيت بشوف ناس ميتة، وبقيت بشوف ناس معرفهاش زيك كده، وبقيت بشوف تعابين، وبقيت بقع في البانيو، وبقيت مش عارف أنا فين ولا أنا مين أصلًا، فاهم؟!
رفع دكتور هشام حاجبه ونظر له باستغراب شديد دون رد، فأكمل هشام حديثه:
طبعًا لازم تبصلي كده، بس أنا هحكي لك من الأول، فاضي؟!
هز له رأسه، فبدأ هشام في سرد ما حدث بالتفصيل.

***

وبعد ساعة.

انتهى هشام من سرد ما حدث بالتفصيل إلى دكتور كمال، الذي يبدو على وجهه الاستغراب والاهتمام بما يقول في نفس الوقت، لدرجة جعلته يكتب بعض الملاحظات أمامه في ورقة بيضاء كبيرة، كلما تحدث هشام عن شيء مما حدث، كتب الدكتور ملاحظة عنها، حتى انتهى هشام وأصبحت تلك الورقة البيضاء عبارة عن دائرة رسوم وكلمات كبيرة، أمسك بها دكتور كمال وأخذ ينظر إليها باهتمام ويحاول استشفاف أي شيء ومساعدة هشام في الوصول إلى حقيقة ما هو فيه الآن، نظر له من فوق نظارته البالية:

أنت متأكد إن اللي أنت شربته ده إستروكس؟

قالها دكتور كمال بجدية، فنظر هشام إليه وقال:

مش عارف، هو كانت ريحته غريبة شوية بس مركزتش، بس عمرو الله يرحمه، أو الله يخليه مش عارف هو عايش ولا ميت ولا أنا كان بيتهيألي يعني، قالى إنه استروكس.

وضع كمال يده على فمه وأخذ يجذب خصلات شعر شنبه الأبيض، ثم رفع سبابته في وجه هشام:

يبقي لازم نجيب عينه من اللي أنت شربته ده، لازم على الأقل نعرف أنت شربت إيه، الإستروكس ده المسمى الشعبي للمادة المخدرة، إنما المادة الفعالة نفسها بتختلف.

تعجب هشام قليلًا وسأل:

مش فاهم؟!

أسند دكتور كمال يده على كتف هشام وقال:

يعني الحشيش ده الاسم الشعبي أو التجاري، إنما المادة الفعالة في الحشيش فهي المادة اللي في النبات نفسه "نبات القنب"، النبات ده بيتعصر والزيت اللي بيطلع منه بيتخلط على العجيبنة البني اللي أنت بتشتريها دي وتقول عليها حشيش، بس إيه بقي اللي يخلي نوع حشيش، مختلف عن النوع التاني؟

رد هشام بسرعة وسذاجة:

الديلر؟!

ضرب كمال على كتفه بيده:

لأه، الخلطة نفسها، في اللي يحط مواد كيميائية على الخلطة دي، اللي بتقولوا عليها "كيميا"، حبوب يعني بمعنى أصح، وفي اللي يحط خلطات من مخدرات تانية، عشان كده

تلاقي في حشيش مثلًا يخليك تنام، في حشيش تاني يخليك نشيط وجسمك يسخن وتحس بطاقة كبيرة، وفي حشيش تاني يخليك مهيس وعمال تضحك، وفي حشيش يخليك يجيلك تهيؤات وهلاوس، كل حاجة بتبقى على حسب الخلطة اللي فيها، هما كلهم اسمهم حشيش، بس نوعهم، أو خلطتهم، مختلفة، نفس الفكرة بالنسبة للاستروكس، أنت شربت استروكس، شربت حاجة باسمها الشعبي، إنما مكوناتها الأساسية إحنا منعرفهاش، عشان كده لازم نعرف أنت شربت إيه بالظبط، إيه المكونات الكيميائية أو الخلطة اللي كانت في السيجارة اللي أنت شربتها.

هرش هشام في جبهته قليلًا ورد:

ودي هنعرفها إزاي؟!، أعمل تحاليل؟!

أتاه الرد سريعًا:

لا، معظم المواد دي بتنزل من جسمك مع البول بعد ١٢ ساعة، والباقي منها بحصله تفاعلات كيميائية مع جسمك، مبنقدرش نعرف التركيبات بالتحديد، لازم نجيب سيجارة من نفس النوع اللي شربته.

هز هشام رأسه له في إشارة لتفهمه الأمر، أيقن أن عليه العودة إلى الكباريه، إلي سيزار، إلى نوجا مرة أخرى، بدت على وجهه معالم الارتياح قليلًا، شعر بأنه أمسك بطرف خيط ولو بسيط، ارتاح نسبيًا عندما وجد من يسمعه، من يساعده ويحلل معه ما يحدث، وقف وتصافح مع دكتور كمال وغادر، فيما جلس كمال يقرأ في الورقة ويتفحصها جيدًا، وأحضر ورقة أخرى وبدأ يحلل كل ما سمعه بعناية شديدة.

الفصل التاسع

كباريه سيزار، مصر الجديدة.

وصل بسيارته أمام هذا المكان المشؤوم، نظر لكل التفاصيل من حوله وأحس برعشة غريبة في رقبته، ينظر إلى المارين من المكان بدقة، تنتقل نظراته لأعينهم تارة وأفواههم تارة أخرى، تسمع أذنه بعضًا من حديثهم، يراوده شعور غريب أن هذا المكان قريب منه لدرجة مخيفة، ترجل من سيارته وصعد باتجاه هذا السلم الضيق المؤدي إلى صالة الكباريه، ما زال الشعور الغريب يلاحقه حتى وجد "نوجا" تنتظره في نهاية السلم، نفس الابتسامة العريضة المرسومة على وجهها، تفرد له ذراعيها كأنها حبيبته التي تستقبله في مطار بعد سنين غربة، هو يدرك جيدًا أنها لا تتذكره ولا تعرف من هو، لقد أتى إلى هنا بالكاد مرة واحدة ولم يظل في المكان سوى ساعة تقريبًا، فبالطبع لن تتذكر شخص من بين آلاف الأشخاص الذين يتواجدون في المكان يوميًا، لكنها ما زالت تضحك له وتفتح له ذراعيها لتستقبله استقبالها المعتاد، حتى اقترب منها وعانقها وقبلته على وجنتيه، ولكن قبل أن

يفلت ذراعيه من حولها همست في أذنه قائلة:
نورت يا إتش، عايزاك تعمل جو حلو بقى زي المرة اللي فاتت كده.
ثم أفلتته وغمزت له بتلك العين التي أحاطت بها كل أنواع المكياج الخاصة بالعين من أيلينر وأي شادو.

نظر لها باستغراب بعض الشيء لكنه لم يعد يستغرب شيئًا الآن كما كان، لقد بات يتوقع أي شيء وكل شيء، دخل إلى المكان الذي بدا له غريب بعض الشيء من الداخل، وجد الطاولة التي كان يجلس عليها هو وأصدقاؤه خاوية فجلس عليها وتكررت نفس التفاصيل التي عاشها من قبل، يبدو أنه روتين المكان، قام بطلب بعض الخمور وجلس يتابع ما يحدث حوله، ضجيج الأغاني يضرب الكاسات الموضوعة على الطاولات، بينما عيناه تراقب الجميع، يرسم ضحكة على وجهه ليحاول أن يكون طبيعيًا ولا يثير الشكوك حوله، مر الوقت وهو يجلس في مكانه يحتسي كأسًا تلو أخرى، حتى رأى نوجا تتجول في المكان وتتفقد أحوال زبائنها بعد أن أصبح المكان "فول كومبليت"، ظل يتابعها حتى اقتربت

منه، وأثنت جسدها ناحيته وهي تنظر في عينه قائلة:
ها؟! مش شايفين شقاوة ليه؟!
هرش في ذقنه أثناء تفحصه لجسدها في نظرة حمدي وزيرية شديدة، يبدو أنه قد نسي سبب وجوده هنا، ومن لا ينسى نفسه و"نوجا" أمامه وتميل بجسدها عليه، لكنه تدارك الأمر سريعًا ونظر لها قائلًا:
شوية كده على ما أعمل دماغ وأقوم أقلب لك الدنيا هنا.
ابتسمت ووضعت يدها خلف رأسه وأخذت تلعب في خصلات شعره بينما تنظر إلى عينه نظرة تثير شهواته، وهو بالفعل مثار.
وصحابك مش جايين؟!
عبس وجهه قليلًا، ورد:
والله ما أعرف، يمكن ألاقيهم داخلين دلوقتي، متستبعديش حاجة يعني!!
ابتسمت له مرة أخرى ثم وضعت قبلة رقيقة على خده الأيسر، ثم استقامت في وقفتها ومشت باتجاه طاولة أخرى، استفاق هشام من لعنة تلك القبلة التي أفقدته تركيزه لثوانٍ، ثم قام بالنداء عليها:

بقولك إيه طيب؟!
وقفت ولفت رأسها إليه فاستكمل حديثه:
مفيش حاجة حلوة زي بتاع المرة اللي فاتت؟!
نظرت إلى صدرها، نظرت إلى ذاك الجيب السحري الذي يشبه شنطة بابا نويل، تخيل أن تجد في داخله كل شيء، عليك فقط طلب ما تريد، فيضعن يدهن داخل هذا المكان ليخرجن ما تريد!

بالفعل وضعت يدها داخل هذا الجيب السحري الموجود في حمالة صدرها وأخرجت سيجارة منه ومشت باتجاه هشام وانحنت عليه مرة أخرى، ثم قامت بتقبيل تلك السيجارة، ووضعتها خلف أذنه، فيما ظل هو ينظر إليها بينما هي تفعل ذلك، حتى تركته وذهبت لتكمل عملها وتطمئن على زبائنها، وضع يده خلف أذنه وأمسك بالسيجارة ثم قبلها هو الآخر في موضع شفاه نوجا، ثم نظر إلى السيجارة وأحس برغبة شديدة في داخله تجبره على إشعالها الآن، لكنه تمالك نفسه وقام بوضع السيجارة في جيبه، ثم أخرج بعض النقود من جيبه وقام برميها على الطاولة كحساب لطلباته، واستعد

للمغادرة، لكنه انتظر الوقت المناسب حتى لا يلاحظ أحد غرابة ما يفعله، أو تلاحظه نوجا التي أعطته تلك السيجارة ليشربها داخل المكان ويقوم بعمل بعض "الشقاوة" على حد قولها، لم يمر الكثير حتى سمع صخب شديد يأتي من أعماق صالة الكباريه، بينما يجري أحد العاملين بالمكان باتجاه نوجا، ثم يخبرها شيئًا في أذنها، فيبدو على وجهها علامات الخوف وتقوم هي الأخرى بالجري باتجاه تلك الضوضاء، توقفت الموسيقى وعمت الفوضى في المكان، فلم يجد هشام فرصة أفضل من هذه للمغادرة متواريًا عن الأنظار!!

***

مكتبة دكتور كمال.

دخل هشام على كمال دخلة تملؤها الثقة، يحمل السيجارة في يده كمن انتصر في معركة حطين، يحمل الغنائم بين يديه، يسير بخطوات ثابتة يحاول لفت نظر كمال إليه، لكن كمال مندمج في بعض الأوراق الموضوعة أمامه يكتب بعض الملاحظات ويسرع في تدوين كل ما يدور في خاطره كمن يكتشف نظرية فيزيائية، وقف هشام أمام مكتبه ونظر إلى كل تلك الكتابات التي يكتبها، وضع السيجارة على المكتب أمامه في محاولة لنيل بعض من كلمات الثناء عليه، لكن كمال لم يعره اهتمامًا، فلم يكن منه إلا استجداء تلك الكلمات.

جبت السيجارة ها؟! جبت الاستروكس.
لم يجبه كمال وظل كما هو لم يعره اهتمامًا:
طب قل لي شكرًا طيب؟!
نظر له كمال في ضيق:

يا ابني أنا اللي بساعدك يا ابني، أنت اللي تقول لي شكرًا!
تدارك هشام الأمر:
آه صح، طب إيه طيب؟! نعمل إيه دلوقتي؟!
أمسك دكتور كمال بورقة وتفحص فيها قليلًا ورد:
قل لي الأول، أنت لما تقى بتظهر لك، بيبقى في حاجة متغيره تانية؟
استغرب هشام من السؤال ورد:
يعني ايه؟ مش فاهم!
أجابه وهو يشير بيده يمينًا ويسارًا:
يعني حاجة اتقلبت، أحداث اتغيرت، أشخاص جديدة ظهرت في حياتك، أشخاص في حياتك مبقوش موجودين فيها، أماكن مش زي ما أنت متعود عليها، أي حاجة من دي؟

فكر هشام قليلًا ورد:
هو أنا مركزتش في الحاجات دي قبل كده، بس أيوة، أوضة مكتبي اتغيرت وبقت أوضة أطفال، الزمالك كسبان أفريقيا مثلا، أنت نفسك تعتبر شخص جديد بالنسبة لي، مش دكتور كمال اللي أنا أعرفه، شكلك متغير، في أرقام على موبايلى

معرفهاش.
قام دكتور كمال بتدوين كل ذلك في الورق أمامه، وأشار لهشام وهو يكتب:
حلو، حلو أوي كده، طيب قل لي، لما بتبقى عليا هي اللي موجودة في حياتك وتقى بتختفي، كل حاجة بترجع زي ما متعود عليها؟!
أجابه هشام:
هو كل حاجة بترجع أيوة، وبشوف الحياه اللي متعود عليها، أوضة مكتبي زي ما هي، الأرقام زي ما هي، شغلي زي ما هو، الزمالك خسران كالعادة للأسف يعني.
أعاد دكتور كمال الكتابة مرة أخرى وتدوين ما يقول، ثم عاود الأسئلة:
والتهيؤات بتختفي كلها وحياتك بتبقى طبيعية لما تقى متبقاش موجودة؟
فكر هشام لثانيتين قبل أن يرد:
لا بتفضل التهيؤات زي ما هي، بس تهيؤات تانية، الحاجات اللي بخاف منها، الأماكن العالية، التعابين، القتل والدم والموت بتاع صحابي ده، حاجات بكتشف إني عملتها مع

ناس تانية، يعني أنا مثلا خرجت وقضيت اليوم مع تقى، لما صحيت وشوفت عليا، لقيتني قضيت اليوم معاها هي بس أنا مكنتش فاكر.

ظل دكتور كمال يكتب ما يحدث مستمرًا في طرحه للأسئلة على هشام:

ده طبعًا بجانب الأحداث اللي بتكتشف إنك ناسيها، نتيجة الأدوية اللي كنت بتاخدها؟

رد هشام سريعًا:

بالظبط.

انتهى دكتور كمال من تدوين الحديث، ثم خلع نظارته وألقاها على الطاولة أمامه، تبدو على وجهه علامات التعب والإرهاق، أمسك بالسيجارة الموضوعة على المنضدة وقام بشمها:

متأكد إن دي نفس السيجارة اللي شربتها؟!

أجابه:

متأكد أيوة، وطالعة من نفس المكان.

استغرب كمال وسأل:

مكان ايه؟!

ابتسم هشام وأجاب:
صدرها.
صدر مين؟!
رفع هشام حاجبيه وأجاب:
مش مهم، هي أيوة نفس السيجارة.
أحضر دكتور كمال ورقة صغيرة وقام بوضع السيجارة بها، ثم وضعها في جيبه، وقام بلم أشياءه من على المنضدة في مشهد يبدو عليه استعداده للمغادرة، فسأل هشام:
رايح فين؟!
أجاب كمال:
هروح، هنام، هرتاح شوية بقي، يالا قوم قوم.
استغرب هشام:
أقوم فين، موصلتش لحاجة لسه ولا عرفت حاجة، كده التهيؤات هتختفي يعني؟!

أجاب دكتور كمال وهو يغادر فيما يسير هشام وراءه ويقفا خارج المكتبة، فيما يقوم دكتور كمال بغلق باب المكتبة والحديث أثناء ذلك:

لا مش هتختفي، محتاج أرتاح إنهارده، وإنت كمان، بكرة نشوف موضوع السيجارة ده وباقي الحاجات.
عرض هشام المساعدة عليه أثناء سيره مبتعدًا عنه:
طب تعالى معايا أوصلك؟!
رد كمال وهو يبتعد:
لا لا، أنا بيتي هنا مش بعيد، أشوفك بكرة.

منزل هشام، النزهة.
وصل إلى منزله وقد أحس ببعض الهدوء في قرارة نفسه، أحس أنه بدأ في الإمساك بطرف خيط يجعله يستعيد حياته المستقرة إلى حد ما مرة أخرى، توجه إلى غرفة نومه وقام بفتح بابها وأضاء الغرفة، ثم نظر على السرير فوجد "تقى" نائمة، اقترب منها ونظر إلى وجهها وتأمله ثم قام بلمس وجهها بيده، وأخذ يتحسس خصلات شعرها وأمسك يدها قائلًا:
ما هو مستحيل تكون دي تهيؤات يعني، نفسي أفهم إنتي إيه؟ وإزاي هنا؟ نفسي تبقي حقيقة، نفسي يكون كل الكلام ده غلط، نفسي تكوني مموتيش، بس يطلع كل اللي أنا فيه

ده حلم كبير، أو تبقى إنتي حقيقة.
سند رأسه على قبضة يده ويدها، ثم أغلق عينيه وذهب في النوم على أمل أن يستيقظ ليجدها ما زالت بجواره.

الفصل العاشر

في الصباح.
استيقظ من نومه، لكنه لم يرد فتح عينه، ما زال يشعر بقبضة يده ممسكة يدها، لكنه يخشى أن يفتح عينه ولا يجدها، تحدث إلى قرارة نفسه قائلًا:
يا ترى هفتح عيني ألاقي مين اللي جبني، ملاقيش صافيناز؟! طالما كده كده تهيؤات بقى يعني؟!
قام بفتح عين واحدة ببطء ليرى من بجواره، حتى لمح ملامح "علياء"، فقام بفتح عينيه على مصراعيهما و"لوي بوزه"، لا يعلم لما لا يسير شيئًا على هواه، دائمًا ما كانت تعطيه الحياة ظهرها، اعتاد أن يفقد الأشياء، اعتاد أن يفقد المقربين منه، بل أحب الناس إلى قلبه، وعندما تعطيه الحياة فرصة أخرى ليراهم، حتى ولو هلاوس، لا تستمر تلك الفرص كثيرًا، يفقدها كل يوم، عاد شعور الفقدان يملؤه من جديد، عانى الكثير في حياته منذ أن ماتت، أصابه الدواء ببعض ألزهايمر ليساعده على استكمال حياته بطريقة طبيعية، لكن ها هي تعود من جديد ويفقدها من جديد ويتجدد الشعور يوميًا، أفلت يده من يد علياء، ثم نهض واستعد للخروج ليرى ما

تخبؤه له الحياة وما وصل إليه دكتور كمال.

***

مكتبة دكتور كمال.

مغلقة، تتراكم الأتربة بشكل مكثف على باب المكتبة، خيوط العنكبوت منسوجة حول الأقفال، تبدو المكتبة كمكان مهجور، تفوح رائحة الأتربة والعتاقة من بين فتحات الباب، لم يأت أحد إلى هنا منذ فترة ليست بالقليلة، يتفحص هشام المكان ويقف أمامه واضعًا يده في وسطه، لقد كان هنا في اليوم السابق، ومن المستحيل أن يصبح المكان بتلك الحالة في ظرف ليلة واحدة، تشعر وكأن عاصفة ترابية قد هبت على المكتبة دون غيرها من محلات ومنازل حولها، نظر إلى محل الأحذية المجاور للمكتبة ووجد شابًا عشريني يقف بالداخل، فقرر الدخول إليه وسؤاله عن دكتور كمال الذي لم يحضر إلى الآن ليفتح مكتبته، وقف على باب المحل وألقى السلام:

سلامو عليكو

نظر إليه الشاب الذي كان مندمجًا في تنظيف رفوف الأحذية، ثم ابتسم إليه مردداً:

وعليكم السلام، إزيك يا أستاذ هشام؟ نورت والله، اتفضل خش، خش.
دخل إليه على الرغم من غرابة حرارة الاستقبال، من الممكن أن يكون هذا الشاب يعرفه بسبب تردده المستمر على دكتور كمال في المحل المجاور له، ابتسم له وسأله:
هي المكتبة عادة بتفتح إمتي؟
أجابه الشاب مبتسمًا وهو يفتح إحدى الأدراج ويخرج منها ظرفين صغيرين:
لا ما هو أستاذ محمد مبقاش بييجي قد كده.
تعجب هشام قليلًا وسأله:
أستاذ محمد مين؟! أنا بسأل على مكتبة دكتور كمال.
ما زالت الابتسامة على وجه هذا الشاب وهو يرد:
لا ما هو ابنه محمد اللي بقي بييجي يفتح من بعد ما الدكتور اتوفي الله يرحمه!!، بس مبقاش بييجي كتير يعني، بس هو سابلك الإيجار هنا من أول الشهر.
مد الشاب يده بأحد الأظرف إلى هشام، أمسك به هشام ونظر إلى ما مكتوب عليه، وجد كلمة "المكتبة"، مدونه على الظرف، ضاقت جبهته واندهش مما يحدث، قاطعه الشاب

مرة أخرى:
وده الإيجار بتاعنا إحنا.
مد يده بالظرف الآخر إلى هشام، الذي لم يحرك ساكنًا، ولكنه ظل ينظر إليه ويحاول فهم ما يحدث، وضع أصابعه بين خصلات شعره، مرجعه إلى الوراء، يحاول عصر ذهنه ليتذكر التفاصيل، تلك التفاصيل التي تسببت الأدوية والعقاقير التي اعتاد أخذها على جعله ينساها، لكنه كان هنا البارحة، كان يتحدث مع دكتور كمال، كما كان يتحدث مع تقى.
خرج سريعًا من المحل، ثم نظر إلى العمارة المتواجد بها المحلات، نظر إلى رقمها المدون على مدخلها، تقاطعت المشاهد داخل رأسه، تذكر بالفعل أنه قام بشراء تلك العمارة منذ ما يقرب من السنتين، حيث كانت صفقة من إحدى صفقاته المعتاد عقدها من خلال عمله في شركة العقارات!!

أخذ عقله يعصف بالأفكار، بالذكريات وتفاصيلها، بدأ يتذكر بعض الأشياء، يحتاج دائمًا إلى صدمة ما لتجعله يتذكر، حياته لم تعد كما كان يعتقد، فجأة أصبحت حياته مليئة بالأشباح، عقله اعتاد خداعه، اكتشف مرضه المزمن الذي يلاحقه منذ

سنوات، لكن هذه ليست المشكلة الآن، لقد تذكر بعض الأشياء الأخرى، التي جعلته ينتفض ويركض بسرعة باتجاه سيارته وينطلق بها بسرعة تاركًا سحابة من دخانها خلفه.

***

منزل عمرو.

نزل من سيارته وركض بسرعة نحو مدخل العمارة، لم يستطع انتظار المصعد وركض على السلالم باتجاه شقة عمرو، وصل أمامها وضرب الجرس، ولكن لم يفتح له أحد بالطبع، وضع يده داخل جيبه، وأخرج ميدالية مفاتيحه المكتظة بالمفاتيح، أخذ يتفحص كل تلك المفاتيح جيدًا، حتى أمسك بواحد منهم، وقام بوضعه داخل كالون الباب، قام بلف المفتاح، ليسمع صوت "تكة"، لقد فتح باب الشقة، دخل إليها في حذر، يتصبب عرقًا ويخشى كل شيء في الحياة الآن، وقف في صالة الشقة وأخذ ينظر إلى كل تفاصيلها، تتراكم الأتربة في كل مكان، تغطي جميع قطع الأثاث بمشمع بلاستيكي، أزال المشع من على بعض الكراسي الموجودة في الصالة، وتذكرها جيدًا، تذكر عندما كان يلعب في صالة هذه الشقة ويقفز ويلهو على تلك الكراسي، تذكر زجاج النيش، الذي كان قد كسره عندما كان يلعب بكرته الصغيرة التي أهداها له والده في عيد مولده السابع، أزال المشمع من على الزجاج ووجده مكسورًا، أزال بعض الأتربة من على البراويز المعلقة على

الحائط، ليجد صورته وهو طفل مع والده ووالدته اللذين توفيا منذ عشرة أعوام.

أمسك بالصورة وجلس على إحدى الكراسي الموضوعة، تذكر حديث عمرو معه، عندما قابله في استاربكس وأخبره بأنه شعر كأنه يحاسب، تذكر قصة "عمرو" التي رواها له، عن عم "صالح" بواب العمارة ذي الستة أصابع، تذكر تلك القصة، لم يكن عمرو من دخل عليه عند موته وأمسك بأصبعه ورغب في قطعه والاحتفاظ به، بل كان هو، كان "هشام" من فعل ذلك!!

لم تكن هذه يومًا شقة عمرو، بل كانت شقته هو، كل تلك الأحداث والأماكن، أماكن وأحداث موجودة داخل عقله!!

ركض باتجاه السلم بعد أن أغلق باب الشقة، اتجه مرة أخرى نحو سيارته، انطلق بها مسرعًا تاركًا نفس سحابة الدخان، ولكنه اصطدم بسيارة أخرى مقابلة له صدمه قوية سمع دوي اصطدامها كل من في محيط المكان، جعلت الإيرباج

الخاص بسيارته يفتح ويصفعه في وجهه، شعر بألم شديد في رأسه، الجرح الموجود في جبهته نزف مرة ثانية، وغاب عن الوعي في ثوانٍ!

هدوء لا يخلو سوى من صوت تنفسه، صداع في داخل رأسه، وألم في خارج رأسه موضع الجرح الموجود في جبهته الذي لا يشفى ولا يختفي أثرة ولا ألمه، فتح عينه وأمسك رأسه من شدة الصداع، وجد نفسه في سريره داخل شقته، تقى ترقد بجواره، لم يعد يفاجأ إطلاقًا، أصبح يتوقع كل شيء وأي شيء، لكن طالما روحه فيه ويخرج هواء تنفسه، فهذا في حد ذاته أصبح شيء مرضي بالنسبة له، نظر إليها وأخذ يفكر قليلًا، تذكر حديث دكتور كمال معه "أو شبح دكتور كمال"، بأن وقت ظهور تقى في حياته، تختلف الأحداث والأماكن والأشخاص، تذكر أنه دائمًا ما كان يرى دكتور كمال وقت ظهور تقى، لم يعتد لقاءه منذ أن بدأت تلك الهلاوس سوى في اليوم الذي كانت تظهر فيه، لم يعقه صداعه وقلة قوته الجسدية من أن يرفع جسده وينتفض سريعًا من على السرير، لتستفيق تقى وترى ما سبب كل هذه الجلبة،

تحاول فتح عينيها، تحدثه بينما هو ملهو في ارتداء ملابسه بسرعة شديدة قائلة:

رايح فين يا هشام؟!

أكمل ارتداء ملابسه سريعًا وخرج من باب الغرفة وهو يرد:

نامي، نامي، نامي إنتي ميتة أصلا ربنا يغفر لك!

***

مكتبة دكتور كمال.
اختفت الأتربة، اختفت خيوط العنكبوت، المكتبة مفتوحة بشكل طبيعي، دخل إليها مسرعًا، فوجد دكتور كمال كما اعتاد عليه في الأيام الأخيرة، بنفس هيئته الغريبة، ما زال يتفحص الملاحظات التي كان قد دونها، دخل إليه مسرعًا وهو يردد:
أنت إيه بقى أنت كمان؟!، أنت شبح، أنت كمان ميت!
نظر إليه دكتور كمال وابتسم وطلب منه الجلوس والهدوء:
أقعد بس، أقعد عايزك، مجيتش ليه إمبارح كنت مستنيك؟!
زاد في غضبه:
ما ده اللي بكلمك فيه، أنا جيت هنا إمبارح، المكتبة كانت مقفولة ولما سألت عرفت إنك ميت، أنت كمان ميت.
فرح دكتور كمال وأعاد حديث هشام مرة أخرى وهو يكتبه في ورقة ملاحظات:
حلو، حلو أوي، يعني أنت لما جيت هنا إمبارح، مكنتش أنا موجود، وكنت ميت.

أكمل هشام حديثه بعد أن هدأ قليلًا:
أيوة يعني وبعد كل اللي بتكتبه ده، برضه منا موصلتش لحاجة وعقلي فوت خلاص.
نظر له دكتور كمال بجدية وتحدث وهو يشرح على ورقة ملاحظات:
سمعت قبل كده عن العوالم الموازية؟!
هرش هشام في رأسه وتذكر بعض التفاصيل مرة أخرى:
أيوة، قريت كتاب عنها قبل كده.
استكمل دكتور كمال حديثه:
أنت بقى بطريقة ما، بسبب مش معروف، بتتنقل للعالم الموازي ده، العالم اللي مراتك مماتتش فيه، وفضلت عايشة معاك هي وبنتك، العالم اللي الزمالك كسب فيه، العالم اللي شغلك وصحابك متغيرين فيه، اللي الأرقام بتاعة الناس اللي تخصك على موبايلك اتغيرت وبقى في ناس تانية تخصك فيه، العالم اللي نظام حياتك كله اتغير فيه بناء على سبب معين حصل لك في العالم الواقعي بتاعك، كان سبب في تغيير حياتك كلها، بس السبب ده محصلش في العالم الموازي.
رد هشام ببطء وهو يتلعثم:

أنا، أنا قريت فعلا عن الكلام ده كله، أنا عارف كل الكلام ده.

رد دكتور كمال:

أيوة أنا عارف، أنا بفكرك، أنا هنا عشان أفكرك، أنا بساعدك، الكتاب ده أنت كنت واخده من عندي من هنا، المعلومات اللي في الكتاب ده كلها اتخزنت في عقلك، موجودة، بس أنت استدعيها وافتكر.

ما زال هشام يتلعثم قليلًا:

طب، طب، طب لو أنا بتنقل فعلا للعالم الموازي، ليه بشوف هلاوس؟! ليه بشوف حاجات مش حقيقية؟

أجابه دكتور كمال:

عشان السيجارة اللي أنت شربتها، الاستروكس.

قام بفتح درج صغير أمامه وأخرج منه ورقة صغيرة مدون فيها نتيجة التحليل الكيميائي للمخدر الموجود في السيجارة وأعطاها لهشام.

أتروبين وهيبوسيامين وهيوسين، ال٣ مع بعض في خلطة واحدة، عارف كمية الهلاوس اللي ممكن تشوفها من سيجارة زي دي؟!

رد هشام متسائلًا:
طب ما هو في ناس كتير أكيد شربت زي منا شربت، أكيد مش احنا بس الترابيزة الوحيدة اللي شربت يعني!
توجه دكتور كمال نحو إحدى رفوف المكتبة، وقام بجلب كتاب موضوع عليه ثم فتحه وشرع في البحث عن شيء ما بداخله، حتى وصل إلى صفحة معينة ووضع الكتاب مفتوحًا أمام هشام:
إقرأ، عشان تأثير المخدر والمواد اللي فيه بتعتمد اعتماد أساسي على الحالة النفسية والصحية للي بيتعاطاه، بمعنى إن اللي مش بي...
أكمل هشام الحديث وكأنه تذكر شيئًا ما:
اللي مش بيعاني من مرض معين وصحته كويسة، تأثير المخدر عليه مش هيبقي زي اللي بيعاني من قلب ولا ضغط، اللي بيتعالج نفسيا تأثير المخدر عليه مش هيبقي نفس تأثير السوي نفسيا، وأنا كنت باخد أدوية كتير بتأثر على عمل المخ، أنا قريت كل الكلام ده قبل كده، أنا عارف الكلام ده، أنا قريت الكتاب ده أنا متأكد.
استطرد دكتور كمال حديثه:

وهي دي سيكولوجية عمل المخ، مخك فيه ١٠٠ مليار خلية، كلهم مجهزين وشغالين لتخزين المعلومات اللي واصله سواء من العين أو الودن، أي معلومات شوفتها أو سمعتها في حياتك، إتخزنت جوه عقلك خلاص، بتنساها، بس بمجرد تحفيز الخلية اللي متخزنه فيها المعلومة، سواء حفزتها بمخدر أو بدواء أو بأي شيء، بتفتكر، مخك شاطر جدًا في خلق الأحداث، مخك شاطر جدًا في خلق حياة بكامل تفاصيلها، زي اللي بتشوفها في الحلم، لما بتحلم بمكان مشوفتوش قبل كده وناس مشوفتهاش قبل كده، فده عقلك، قدر يخلق مكان وأشخاص وأحداث زي المكان والأحداث والأشخاص اللي متسجلين جواه أصلا، المخ أكتر جهاز معقد في جسم الإنسان، اللي لحد دلوقتي مش قادرين نفهمه، جزء كبير من المخ لسه لحد دلوقتي مش قادرين نعرف ولا نفهم إيه وظيفته، طلعت نظريات عن إن الجزء ده مسؤول عن ال ...

أكمل هشام حديث دكتور كمال وكأنه تذكر أيضًا شيئًا ما:

إن الجزء ده مسؤول عن اللا وعي، أو العقل الباطن، اللي

لما بيتحفز بيسبب لنا الهلاوس، وأنا حفزته بالاستروكس.
أشار له دكتور كمال قائلًا:
بالظبط.
استكمل هشام حديثه:
كل الكلام ده أنا عارفه وقريته قبل كده، كل دي معلومات كانت في دماغي، عقلي قدر يخلق عالم عيشني فيه، مفيش حاجة اسمها عوالم موازية، دي حاجة قريتها واتخزنت في عقلي، وعقلي الباطن خلاني أتخيل إنها موجودة وعيشني فيها، مفيش عوالم موازية، تقى ميتة فعلا، وعقلي الباطن خلاني أخلقها وأعيش معاها هي وبنتي اللي كانت المفروض تبقي اسمها "جنة" زي ما كنا متفقين أنا وهي، ودلوقتي عقلي بيوهمني إنها حقيقة وإنها في عالم موازي، حتى أنت، أنت كمان مش حقيقي.
وقف دكتور كمال صامتًا ولم يرد عليه، فيما استكمل هشام حديثه:
أنت نفسك من عقلي الباطن، أنت مش دكتور كمال، دكتور كمال الحقيقي كان الشخص اللي بيديلى الكتب، اللي بتديلي المعلومات، اللي بخزنها في خلايا عقلي، لو أنت

دكتور كمال فعلا، كنت هتديلى معلومات جديدة غير اللي أنا أصلًا عارفها، بس أنا مجرد كنت ناسيها، أنت موجود بس عشان تفكرني بالمعلومات دي، أنت محفز لخلايا عقلي لإنها تفتكر، أنا اللي خلقتك لما احتجت معلومات.

قام هشام بالجري باتجاه رفوف الكتب الموجودة في المكتبة، ثم أمسك بأحد تلك الكتب:

الكتاب ده أنا قريته قبل كده.

ألقى الكتاب على الأرض وأمسك بكتاب آخر:

وده أنا قريته قبل كده.

ألقى الكتاب الثاني ثم مسك آخر وتكرر نفس المشهد مرارًا وهو يردد:

وده أنا قريته، وده قريته، وده قريته.

التفت إلى دكتور كمال الواقف لا يحرك ساكنًا:

كل ده أنا قريته، كل ده في عقلي الباطن، كل دي معلوماتي اللي مخزنها، كل اللي شوفته ده بكل الأماكن اللي شوفتها، في عقلي الباطن، أنا نفسي ممكن أك...

صدم هشام قليلًا وجلس على الكرسي ويحرك أصبعه ويفرك خصلات شعره:

أنا نفسي ممكن أكون في عقلي الباطن، أنا نفسي ممكن مكونش حقيقي!
نظر إلى دكتور كمال قائلًا:
كنت قريت عن حالات كتير إتعرضوا لأعراض الاستروكس، اتعرضوا لحالة ال" BAD TRIP " ، ودي حالة بيتعرضوا فيها لهذيان وبيشوفوا فيها كل الحاجات اللي بيخافوا منها، اللي بيخاف من يوم القيامة، يوم حسابه، بيشوف نفسه بيتحاسب، اللي بيخاف من الموت بيشوف نفسه بيموت.
توقف عن الكلام قليلًا، وأخذ يتذكر أيضًا ما قرأه وما عرفه من قبل:
لو أنا دلوقتي في عقلي الباطن، فالعقل الباطن البعد الزمني بالنسبة له معدوم، يعني ممكن تصحى من النوم بدري عن الشغل، فتقرر تنام كمان شوية، تحلم حلم طويل أوي وتحس إنك قضيت في الحلم أكتر من شهرين تلاتة، ولما تصحى من النوم تكتشف إنك غفلت دقيقتين تلاتة.
وقف من على الكرسي وهو ينظر إلى دكتور كمال الذي ما زال يقف دون حركة أو كلام.

لو أنا دلوقتي في عقلي الباطن، ولو أنا دلوقتي بتعرض لحالة "BAD TRIP" بسبب الاستروكس اللي شربته، واللى سببلى كل ده، يبقي أنا فين؟!

تذكر شيئًا هامًا جدًا، وضع يده فوق جبهته، وضع يده فوق الجرح الموجود في جبهته، ذاك الجرح الذي لا يشفى، الذي يؤلمه باستمرار كأنه جرح منذ دقيقتين ليس أكثر، ثم رد قائلًا:

الجرح ده، الجرح ده عمرو كان قال لي إنه كان بسبب إني وقعت ف...

صعق هشام فجأة، ركض خارج المكتبة واستقل سيارته، شعر بضربات قلبه تتباطأ، أحس كأن قلبه سيتوقف، شعر بدوار كبير لكنه استكمل طريقه، حتى وصل إلى الكباريه، وجد نفس الوجوه أمام الكباريه، نفس الأشخاص اللذين اعتاد رؤيتهم كلما أتى إلى هذا المكان، توقف وصعد السلم، يراوده نفس الشعور في كل مرة، يرى نفس المشاهد والأشخاص، ما زال معدل ضربات قلبه ينخفض، أدرك أنه يعاني من أعراض "Over Dose"، لم يقدر على استكمال درجات السلم على قدمه، بدأ يزحف إلى كل مكان، إلى داخل الكباريه، لا

ينظر له أحد، لا يهتم أحد بوجوده، نظر إلى الداخل ليرى تجمع من الزبائن والعاملين في الكباريه يقفون أمام حمام الكباريه، تذكر جيدًا عندما كان هنا آخر مرة عندما أخبر ذاك العامل بالكباريه نوجا أن هناك خطب ما جعلها تجري باتجاه نهاية صالة الكباريه أمام الحمام الخاص به، ما زالت ضربات قلبه تقل، ما زال يزحف على بطنه باتجاه الجمع، باتجاه حمام الكباريه، تتباطأ ضربات قلبه، يكمل زحفه، ينظر إلى داخل الحمام، ليجد نفسه ممددًا على أرضيته، ينزف من جرح في جبهته، وحوله أصدقاؤه يحاولون إفاقته، ينادونه باسمه، يصرخ أحدهم:
يا جدعان كلموا الإسعاف بقاله ييجي ٣ دقايق مغمى عليه!

تتباطأ ضربات قلبه، يغيب عن الوعي.
يفتح عينه مرة أخرى، يجد نفسه ممددًا وسط أصدقائه ويردد أحدهم:
أهو فاق أهو الحمد لله.
ينظر إلى خارج الحمام، حيث كان يرقد منذ قليل عائدًا من عقله الباطن، لا يرى أحد.

يغيب عن الوعي.
يفتح عينه ليجد نفسه ممددًا على بطنه خارج الحمام ويرى نفسه ممددًا على ظهره داخل الحمام وسط أصدقائه ويردد أحدهم:
يا جماعة بيغمى عليه تاني، إطلبوا إسعاف والنبي.
يغيب عن الوعي.
يفتح عينه مرة أخرى، يجد نفسه ممددًا على ظهره داخل الحمام وسط أصدقائه ويردد أحدهم:

فاق تاني أهو.
ينظر إلى خارج الحمام، حيث كان يرقد منذ قليل عائدًا من عقله الباطن، لا يرى أحد. تتباطأ ضربات قلبه، يغلق عينيه.

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub